الباب الخامس

دواوين الشعر الجاهلى

الفصل الأول

الدواوين المفردة

١

كان حديثنا — فيما مرّ بنا من أبواب هذا البحث وفصوله — عن المصادر الأولى التى استقى منها العلماء الرواة فى القرن الثانى الهجرى ما بين أيديهم من شعر جاهلى. وبيان ذلك أننا — حين قطعنا شوطاً فى دراسة هذا الموضوع — وجدنا أن أخطر ما فيه وأشده غموضاً — على خطره كله وغموضه — هو تلك الفترة التى انقضت على نظم الشاعر الجاهلى لشعره إلى أن دُوّن هذا الشعر فى القرن الثانى الهجرى فى هذه الدواوين التى وصلت إلينا روايتها . هذه الفجوة الزمنية التى امتدت قرناً وبعض قرن — من آخر العصر الجاهلى إلى مطلع القرن الثانى الهجرى — هى التى استنفدت القسم الأعظم من جهدنا واستغرقت الجزء الأكبر من بحثنا هذا . وذلك لأن موضوعنا « مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية » فلم نجد من المعقول ولا من المقبول أن نسقط من حسابنا تلك الفترة التى سبقت تدوين هذه المصادر التى بين أيدينا ، ولا أن نمر بها مرًّا هيناً عابراً ، بل لقد استبان لنا أننا مضطرون — من أجل معرفة هذه المصادر معرفة حقة وبيان قيمتها التاريخية بياناً واضحاً — إلى أن نكشف عن الموارد التى استقت هذه الدواوين منها ، والمناهل التى اغترف منها جامعوها وصانعوها .

فدرسنا آخر العصر الجاهلى والقرن الأول الهجرى دراسة نرجو أن تكون دقيقة عميقة ، وجمعنا ما عثرنا عليه متفرقاً فى المظان العربية مما يتصل ببحثنا هذا ، ثم انتهينا إلى نتائج ثلاث :

الأولى : أننا رجحنا أن هذا الشعر الجاهلى — أو بعضه — قد كُتِب ، فى صحائف متفرقة أو فى دواوين مجموعة ، منذ عهد مبكر جداً ، وربما كتب بعضه منذ العصر الجاهلى ، ونحب أن نؤكد أننا لا نلقى الكلام على عواهنه ، ولا نعتسف الطريق إليه اعتسافاً ، وأن هذه النتيجة الأولى ليست مجرد افتراض نفترضه ، ولا مجرد ظن توهمناه ، ولكنها نتيجة علمية نهجنا إليها منهجاً سليماً بعد أن حشدنا لها حشداً كبيراً من المقدمات التى تتمثل فيما عثرنا عليه من نصوص وأخبار ؛ فهى إذن ترجيح قوى له مرجحاته الكثيرة ، بل لقد كدنا أن نقول إنها يقين قاطع لولا هذا المنهج الذى نلتزمه والذى يفرض علينا الحذر فى التعبير . وأين اليقين القاطع فى مثل هذه الأبحاث الأدبية وخاصة فى مثل هذا الموضوع وفى مثل ذلك العصر ! !

والثانية : أن بعض هذه المدونات الشعرية الأولى قد وصلت إلى علماء الطبقة الأولى من الرواة ، وأنهم قد اعتمدوها مصدراً من مصادر تدوينهم لهذه الدواوين التى رواها عنهم تلاميذهم ، وأن هؤلاء العلماء الرواة فى القرن الثانى الهجرى كانوا يعتمدون — هم وتلاميذهم — نسخاً مكتوبة من هذه الدواوين فى مجالس علمهم وحلقات دروسهم ، وأن الشيخ منهم كان يقرأ شعر الشاعر من نسخته ، أو يقرأها أحد تلاميذه ، ثم يعقب الشيخ على الشعر بالشرح والنقد والتحقيق والتمحيص . وقد بيّنا عند حديثنا عن هذا الموضوع أن هذه المدونات لم تكن هى المصدر الوحيد ، وإنما كانت أحد مصدرين . أما المصدر الثانى فقد كان الرواية الشفهية . وذلك أن العالم الراوية كان يأخذ بعض الشعر الجاهلى عن الرواة من الأعراب الذين كان يطمئن إلى صدقهم ويعتمدهم مصدراً من مصادره ، وبعض هؤلاء الرواة الأعراب كانوا من قبيلة الشاعر الذى يروون شعره ، تناقلوه جيلاً بعد جيل ، وتوارثوه خلفاً عن سلف ؛ أو كان ذلك العالم الراوية يسمع بعض الشعر الجاهلى من غيره من العلماء ، يرحل إليهم أو يرحلون إليه إن كانوا فى بلدين متباعدين ، أو يفد عليهم ويفدون عليه

إن كانوا فى بلد واحد ، وكان عند هؤلاء العلماء الآخرين بعض ما لم يكن عنده ، أو كان عنده بعض ما لم يكن عندهم ، وذلك لاختلاف النسخ المدونة التى بين أيديهم ، أو لاختلاف الرواة من الأعراب الذين سمعوهم واعتمدوهم مصدراً من مصادرهم ، أو لاختلاف الشيوخ الذين أخذوا عنهم . فكان من نتيجة ذلك أن كل عالم يعود على ما بين يديه من نسخة لديوان الشاعر الجاهلى بالتصحيح والتحقيق ، فيضيف إليها بعض ما وجده عند غيره واطمأن إلى صحته ، ويحذف منها بعض ما انتهى إلى أنه قد نسب إلى ذلك الشاعر خطأ أو نُحِلَه عمداً ، ويكتب من كل ذلك نسخته التى اطمأن إليها ، ثم يقرأها لتلاميذه أو يقرأونها عليه ، فإذا ما انتهوا منها أجاز لهم أو لبعضهم أن يروووها عنه . ثم يرويها هؤلاء لتلاميذهم بعد أن يجروا فيها بعض ما أجراه شيخهم فى نسخته الأولى من تحقيق وتمحيص . ثم جاء علماء الطبقة الثالثة ومن تلاهم من العلماء — بين منتصف القرن الثالث ونهاية القرن الخامس الهجرى — فوجدوا بين أيديهم نسخاً متعددة لديوان واحد ، رُوِيت كل نسخة عن واحد من علماء الطبقة الأولى فى البصرة أو الكوفة ، فصنع هؤلاء العلماء المتأخرون نسخاً جديدة أفرغوا فيها جميع روايات العلماء السابقين ، وأشاروا فى مواطن كثيرة إلى أن هذه القصيدة من رواية فلان أو فلان ، أو أن هذه الأبيات لم يروها فلان ، أو أن فلاناً قال إن هذه القصيدة أو تلك الأبيات ليست لهذا الشاعر وتنسب إلى شاعر غيره يسمِّيه .

والثالثة : أن رواية هذه الدواوين التى بين أيدينا — حينما يكون الديوان مسنداً — تنتهى إلى أحد هؤلاء العلماء من رواة الطبقة الأولى أو إلى أحد تلاميذهم ، ثم تقف عندهم ولا تتجاوزهم . ومن أجل هذا ذهب كثير من الباحثين إلى أن ثمة فجوة واسعة — تزيد على القرنين — تفصل بين زمن الشعر الجاهلى نفسه وزمن تدوينه ، وإلى أن العلماء الرواة الذين دوّنوا ذلك الشعر بعد تلك الفجوة الزمنية الواسعة لم يجدوا إلا أبياتاً متفرقة أو مقطعات قصيرة ،

أشبه ما تكون بالأوصال الممزقة ، التقطوها التقاطاً من أفواه بعض الأعراب والرواة ، وأن هذا الزمن الطويل الذى انقضى قبل تدوين الشعر الجاهلى — كفيل وحده بأن يجعلنا نشك فى الكثير مما دوّن منه . ولكننا نحن ، بعد هذه الدراسة التى بذلنا فيها الجهد لملء تلك الفجوة — نذهب إلى أن هذه الدواوين المسندة إلى العلماء من رواة الطبقة الأولى ، والتى لا تتجاوزهم فى الإسناد ، موصولة الأسباب بالعصر الجاهلى وبالشاعر الجاهلى نفسه ، وأن تلك الحقبة — التى بدت لبعض الباحثين فجوة فارغة — تبدو لنا سلسلة ذات حلقات متصلة ، لم تنقطع فيها قط حلقة من حلقات المصدرين اللذين وردهما علماء الطبقة الأولى ، واستقوا منهما فى تدوين دواوين الشعر الجاهلى ، وهما : الرواية الشفهية ، والمدونات : سواء أكانت صحائف متفرقة أم دواوين مجموعة . وكل ذلك قد بيّناه وفصلنا فيه القول تفصيلاً . أما السبب الذى من أجله وقف إسناد هذه الدواوين عند علماء الطبقة الأولى ولم يتجاوزهم ، فقد أشرنا إليه أيضاً فى فصل مضى ، وهو — فى رأينا — أن دراسة الشعر الجاهلى دراسة تقوم على التحقيق والتمحيص والبحث اللغوى والتتبع المستقصى والشرح والنقد ، ثم الاقتصار على ذلك اقتصاراً يكاد يكون تخصصاً — هذا الضرب من الدراسة لم يوجد قبل مطلع القرن الثانى أو منتصفه عند علماء الطبقة الأولى . وأما قبل ذلك فقد كانت العناية بالشعر الجاهلى مقصورة على مجرد روايته وجمع بعضه ، وكثيراً ما تكون تلك الرواية وذلك الجمع وسيلة لما كان معروفاً آنئذ من العلوم ، فكان يُتّخذ الشعر الجاهلى وسيلة للاستشهاد والتمثل والاحتجاج والزينة ؛ ولم يكن من بين علماء القرن الأول الهجرى من نصب نفسه لتدريس الشعر الجاهلى والبحث فيه وتحقيقه وتمحيصه ؛ ولذلك كان جميع ما خلفه هذا القرن الأول من شعر الجاهلية مرويّاً أومكتوباً ، عناصرَ أولية ومواد خامة ، تسلمها علماء الطبقة الأولى فى القرن الثانى فصاغوا منها الدواوين التى نسبت إليهم ورويت عنهم .

وسنعرض فى الصفحات التالية ديوانين من هذه الدواوين الجاهلية التى

بقيت على الزمن وغالبت صروفه وأحداثه حتى وصلت إلينا ، هما : ديوان امرئ القيس ، وديوان زُهير بن أبي سلمى . وسيكون عرضنا مبنيًّا على دراسة مفصلة تكشف فى وضوح المنهجَ الذى نرى أن يُنهَج فى تناول هذه الدواوين ، وتؤيد ما انتهينا إليه من نتائج بسطنا القول فيها ، بحيث يكون حديثنا عن هذين الديوانين تطبيقاً لما سقناه من حديث فى الفصول السابقة .

٢

أما ديوان امرئ القيس فقد وجدنا أمامنا ثلاث سبل لتتبع رواياته ورواته :

السبيل الأولى : ما ذكرته المصادر العربية ، وخاصة كتاب الفهرست لابن النديم ، فى مواطن متفرقة عن روايات هذا الديوان وهى :

(١) رواية الأصمعى[١] (٢) رواية أبى عمرو الشيبانى[٢]

(٣) رواية خالد بن كلثوم[٣] (٤) رواية محمد بن حبيب[٤]

(٥) عمل ابن السكيت[٥] (٦) صنعة أبى سعيد السكرى[٦]

(٧) صنعة أبى العباس الأحول[٧] (٨) صنعة أبى الحجاج الأعلم الشنتمرى وشرحه[٨]

(٩) صنعة الوزير أبى بكر عاصم بن أيوب البطليوسى وشرحه[٩]

---

(١) ابن النديم – الفهرست : ٢٢٣ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصدر السابق: ١١٧ و ٢٢٣ و ٢٢٤ ، ونزهة الألباء ١٤٥ ، وإنباه الرواة ١ : ٢٩٢

(٧) المصدر السابق .

(٨) فهرس ابن خير : ٣٨٨ .

(٩) فهرس ابن خير : ٣٨٩ .

والسبيل الثانية :

ما بقى مخطوطاً إلى يومنا هذا وعثرنا عليه مما لم تذكره المصادر العربية التى اطلعنا عليها ، فعرفناه عن طريق الرؤية والمشاهدة لا عن طريق القراءة فى المصادر. ولم نعثر — فى هذه السبيل الثانية — إلا على روايتين لهذا الديوان هما :

١٠ — رواية أبى الحسن الطوسى [١] .

١١ — صنعة ابن النحاس وشرحه [٢] .

والسبيل الثالثة :

ما عثرنا عليه من إشارات إلى روايات هذا الديوان ورواته ، متفرقاً فى مواطن مختلفة من هذه الدواوين نفسها التى قدمنا ذكرها ، مما لم نعثر له على ذكر فيما اطلعنا عليه من مصادر عربية ، ولم نعثر له على أثر فيما بين أيدينا من فهارس للمكتبات . فوجدنا لهذا الديوان الروايات التالية :

١٢ — رواية المفضل الضبى وهى الرواية التى اعتمدها أبو الحسن الطوسى أصلاً من أصول نسخته التى صنعها لديوان امرئ القيس ، فأورد فى نسخته اثنتين وأربعين قصيدة ومقطعة ثم قال [٣] : « هذا آخر رواية المفضل » . وقد أكد أن هذا الجزء من الديوان هو من رواية المفضل فى موطنين ، الأول فيه تأكيد إيجابى حين قال فى القصيدة الأولى : « أحارِ بنَ عمرو كأنى خَمِرْ » إنها : « رواها أبو عمرو والمفضل » .

والثانى فيه تأكيد سلبى ، حين ذكر فى القصيدة العشرين وهى :

« أذودُ عنى القوافى ذياداً » أنها : « ليست فى رواية المفضل » .

---

(١) معهد المخطوطات العربية — رقم : ٨٦٠ .

(٢) معهد المخطوطات العربية — رقم : ١٤٣ .

(٣) ورقة: ٩١ (ظ) .

ومن الأدلة أيضاً على رواية المفضل لديوان امرئ القيس أن الأعلم الشنتمرىّ، بعد أن يورد فى نسخته رواية أبى حاتم السجستانى عن الأصمعى، يورد « قصائد متخيرات مما لم يرو أبو حاتم ورواه أبو عمرو الشيبانى والمفضل وغيرهما »[1] .

١٣ — رواية ابن الأعرابى : وقد ذكرها الطوسى أيضاً ، فقد قال فى نسخته بعد القصيدة التاسعة والثلاثين « إلى ها هنا قرأت على أبى عبد الله ابن الأعرابى »، ثم أورد بعد ذلك ثلاث قصائد : نص فى الأولى على أن ابن الأعرابى لم يعرفها ، ونص فى الثانية على أنه قرأها على ابن الأعرابى وعرفها ، ونص فى الثالثة على أن ابن الأعرابى لم يروها .

١٤ — رواية أبى عبيدة : وتبدو لنا رواية أبى عبيدة لديوان امرئ القيس واضحة مما ذكره الطوسى وابن النحاس . أما الطوسى فقد ذكر — بعد أن انتهى من رواية المفضل — أن « الذى يلى هذا ما رواه أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى والأصمعى » . ثم قال فى القصيدة التالية إنها « من رواية أبى عبيدة وأبى سعيد عبد الملك بن قُرَيب الأصمعى ». وأما ابن النحاس فقد بيّن روايات أبى عبيدة لأبيات كاملة فى ديوان امرئ القيس، أو لألفاظ فى أبيات، فى أكثر من خمسين موضعاً فى صفحات مختلفة من نسخته ، لعل أوضحها أنه أورد بعد قوله[2] :

لَهُ أُذُنَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتَىْ مَذْعُورَةٍ وَسْطَ رَبْرَبِ

بيتين قال إنهما رواهما الأصمعى وأبو عبيدة ، ثم أورد بعدها بيتاً قال عنه إن أبا عبيدة وحده رواه ، ثم أورد بعده أبياتاً قال إن أبا عبيدة والأصمعى روياها . وفضلاً عن ذلك فقد أورد ابن النحاس شروحاً وافية لأبى عبيدة على

(١) الأعلم، ورقة : ٦٤ ، وورقة : ٨١ .
(٢) السكرى : ٩٨ .

أبيات كاملة أو ألفاظ متفرقة من ديوان امرئ القيس فى أكثر من عشرين موضعاً من نسخته .

١٥ — رواية اليزيدى : أبي عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن يحيى بن المبارك اليزيدى (المتوفى سنة ٣١٠) . وقد اعتمد ابن النحاس — فيما يبدو لنا — نسخة اليزيدى أصلاً لنسخته التى بين أيدينا ، فنراه يشير إليها إشارات كثيرة فى مواطن متعددة، وهى إشارات تدل على أنه يرجع فى كتابة نسخته إلى نسخة اليزيدى فيثبت ما فيها من اختلاف عما يورد ، أو ما فيها من زيادة ونقص . فهو يقول مثلاً إن هذه اللفظة أو تلك هى كذا فى نسخة اليزيدى [١] . أو أنه كان فى نسخة اليزيدى كذا وهو خطأ[٢] . أو أن هذا البيت أو ذاك ليس فى نسخة اليزيدى[٣] . أو أن هذا البيت زيادة على اليزيدى[٤]. أو أن هذه القصيدة دفعها فلان ، وهى فى أصل اليزيدى[٥]. أو أن هذا البيت فى نسخة اليزيدى قبل ذلك البيت[٦].

١٦ — رواية ابن دريد: أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (المتوفى سنة ٣٢١). ولابن دريد رواية أيضاً لديوان امرئ القيس، وقد نص على وجودها ابن النحاس فى نسخته التى بين أيدينا ، وذكر أن أبا عمران قرأ ديوان امرئ القيس على ابن دريد ، ثم أورد ما وجده فى رواية ابن دريد زائداً على نسخة اليزيدى أو مخالفاً لها ، وقد تكرر استدراكه على ما فى اليزيدى من أبيات ناقصة رواها ابن دريد، وأثبتها ، فمن ذلك قوله[٧]: « هذا البيت ليس فى نسخة اليزيدى ، وقد قرأه

---

(١) ابن النحاس ، شرح ديوان امرئ القيس ورقة : ٥٣ و ١٢٦ .
(٢) المصدر السابق : ٤٩ .
(٣) المصدر السابق: ٥٨ ، ٩١ .
(٤) المصدر السابق : ١٠٩ .
(٥) المصدر السابق : ٥٣ .
(٦) المصدر السابق : ٣٨ .
(٧) المصدر السابق : ٩١ .

أبو عمران على ابن دريد »، وقوله[١]: « زيادة على اليزيدى قرأها أبو عمران»، وقوله[٢]: « وروى الأصمعى وقرأه أبو عمران على ابن دريد » . وقوله[٣]: « هذا البيت ليس فى اليزيدى ، وقد قرأه أبو عمران » . وفضلاً عن ذلك فقد أورد فى ثنايا نسخته روايات متعددة لألفاظ مختلفة قال إنها رواية ابن دريد .

* * *

فإذا ما عدنا إلى هذه الروايات الست عشرة لديوان امرئ القيس ، وحاولنا أن نصنفها وفق أوليتها وأصالتها من جانب وتدرجها التاريخى من جانب آخر ، وجدنا أنها تقسم ثلاثة أقسام :

(أولا) الأصول : وهى على ضربين كذلك: أصول بصرية، وأصول كوفية .

١ — الأصول البصرية :

ولم يبق لنا منها إلا رواية واحدة كاملة هى رواية الأصمعى ، وسنتحدث عنها حديثاً مفصلاً بعد صفحات ، ورواية أخرى ناقصة بقيت منها أجزاء مبعثرة أشير إليها إشارات عابرة فى مواطن متفرقة ، هى رواية أبى عبيدة . وإذ كنا نعتقد أن روايتى الأصمعى وأبى عبيدة فى جوهرهما رواية واحدة أو روايتان متقاربتان ، وأن الخلاف بينهما لا يعدو قصائد قليلة أو أبياتاً من قصيدة ، لذلك سنكتفى بالإشارة إلى مواطن الاختلاف بين هذه الرواية ورواية الأصمعى حين نتحدث عن رواية الأصمعى .

٢ — الأصول الكوفية :

وقد بقيت لنا منها رواية واحدة هى رواية المفضل بن محمد الضبى (المتوفى سنة ١٦٨)، ولم تصل إلينا هذه الرواية مستقلة وحدها قائمة بنفسها ، ولكنها جاءتنا عن طريق تلميذيه : أبى عمرو إسحاق بن مرار الشيبانى (المتوفى سنة ٢٠٦)،

---

(١) المصدر السابق : ١٠٩ .
(٢) المصدر السابق : ١٢٢ .
(٣) المصدر السابق : ٥٨ .

وأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (المتوفى سنة ٢٣١)، ثم حفظها لنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن سنان الطوسي (المتوفى نحو سنة ٢٥٠) في نسخته التي سنتحدث عنها بعد قليل . وقد أورد الطوسي اثنتين وأربعين قصيدة ومقطعة لامرئ القيس ثم قال بعدها[١] : « هذا آخر رواية المفضل » . غير أنه ذكر في المقطعة رقم ٢٠ وهي ثلاثة أبيات مطلعها « أذود عني القوافي ذياداً » أنها «ليست في رواية المفضل»[٢]. وبذلك تكون رواية المفضل إحدى وأربعين قصيدة ومقطعة . قرأ منها الطوسي تسعاً وثلاثين على أبي عبد الله ابن الأعرابي كما ذكر[٣]. ويبدو أن هذه الأبيات الثلاثة التي ذكر أنها ليست في رواية المفضل كان الطوسي قرأها — فيما قرأ — على ابن الأعرابي فأقرّها، فلذلك أدخلها في نسخته وأشار إلى أنها ليست في رواية المفضل . أما القصائد الثلاث الأخيرة من رواية المفضل في نسخة الطوسي فقد ذكر أنه عرض اثنتين منها على ابن الأعرابي فلم يعرفهما[٤]، أما الثالثة فقد قرأها عليه وعرفها[٥]. أما أبو عمرو الشيباني فلا يذكره الطوسي في نسخته إلا في موضعين ، الأول : عند حديثه عن قصيدة امرئ القيس الرائية « أحار بن عمرو كأني خمر » فقد قال[٦]: « رواها أبو عمرو والمفضل وغيرهما » ، والثاني : عند حديثه عن قصيدته « أمن ذكر سلمى أن رأتك تنوص» فقد قال[٧]: « وليست في رواية الأصمعي ، وإنما هي من رواية أبي عمرو الشيباني » .

ويبدو لنا من هذا العرض الموجز لنسخة الطوسي أنها اعتمدت رواية المفضل في جوهرها أصلاً ، وأن الطوسي قد أخذ هذه الرواية عن تلميذي المفضل :

---

(١) ورقة : ٩١ (ظهر) .
(٢) ورقة : ٧٣ — ٧٤ .
(٣) ورقة : ٨٥ .
(٤) ورقة : ٨٦ ، ورقة : ٨٩ (ظهر) .
(٥) ورقة : ٨٩ .
(٦) ورقة : ١ .
(٧) ورقة : ٥٤ (ظهر) .

أبي عمرو الشيباني ، وأبي عبد الله ابن الأعرابي ، والمعروف عن ابن الأعرابي أنه كان « ربيباً للمفضل الضبي ،وسمع منه الدواوين وصححها»[١].أما أبو الحسن الطوسي فمع أنه أخذ عن مشايخ الكوفيين والبصريين[٢]، إلا أن « أكثر مجالسته وأخذه عن ابن الأعرابي »[٣] وسنعود إلى الحديث عن نسخة الطوسي بعد قليل .

(ثانياً) روايات التلاميذ :

وهي أيضاً على ضربين : روايات بصرية ، وروايات كوفية . فقد كان علماء البصرة يقرأون دواوين الشعراء على شيوخهم البصريين ويروونها عنهم ، وكان علماء الكوفة يقرأون دواوين الشعراء على شيوخهم الكوفيين ويروونها عنهم ، فمن علماء البصريين من رجال الطبقة الثانية الذين أخذوا عن الأصمعي أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، وأبو حاتم سهل بن محمد السجستاني . أما أبو نصر فقد كان صاحب الأصمعي ،وحين قدم إلى أصبهان «نقل معه مصنفات الأصمعي وأشعار شعراء الجاهلية والإسلام مقروءة على الأصمعي »[٤].وكان مما أخذه أبو نصر عن الأصمعي ديوان امرئ القيس غير أن روايته لم تبق لنا كاملة ، وإنما بقيت لنا منها إشارة عابرة حفظت في النسخة التي سميناها نسخة الطوسي . وأما أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (المتوفى سنة ٢٥٥) فقد بقيت لنا روايته لديوان امرئ القيس عن الأصمعي كاملة في نسخة الأعلم الشنتمري ، فقد أورد الأعلم ثماني وعشرين قصيدة ومقطعة ،ثم قال[٥]: « قال أبو حاتم : هذا آخر ما صح الأصمعي من شعر امرئ القيس » . ثم قال: « كملت رواية أبي حاتم عن الأصمعي والحمد لله » . ومن تلامذة أبي حاتم الذين أخذوا عنه رواية دواوين الشعر : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد

---

(١) نزهة الألباء : ١٠٦ ، وياقوت – إرشاد ١٨ – ١٩٠ .
(٢) الفهرست : ١٠٦ ، ونزهة الألباء : ١٢٥ – ١٢٦ .
(٣) المصدران السابقان .
(٤) ياقوت إرشاد ٢ : ٢٨٥ .
(٥) ورقة : ٦٤ .

(المتوفى سنة ٣٢١)، وقد أخذ ابن دريد عن غير أبي حاتم من علماء البصريين مثل : الرياشي والتوّزيّ والزيادي[١]. وسنرى — عند حديثنا عن نسخة الأعلم ورواية الأصمعي أن أبا علي القالي هو الذي أدخل رواية الأصمعي هذه لديوان امرئ القيس إلى الأندلس ، وأنه أخذها عن شيخه ابن دريد تلميذ أبي حاتم السجستاني . وكذلك بقيت لنا إشارات متفرقة من رواية ابن دريد في نسخة ابن النحاس على ما سنبينه بعد قليل .

أما رواة الكوفيين فقد تحدثنا منهم عن المفضل وتلميذيه : أبي عمرو الشيباني ، وأبي عبد الله ابن الأعرابي . وقد خلف بعد هذين خلف أخذوا عنهم ، منهم : محمد بن حبيب (المتوفى سنة ٢٤٥) ، ويعقوب بن السكّيت (المتوفى سنة ٢٤٦) ، وقد مر بنا أن النديم ذكر في فهرسته أن ممن روى ديوان امرئ القيس : محمد بن حبيب ويعقوب بن السكيت[٢] ، وهما من علماء بغداد الذين أخذوا عن الكوفيين خاصة [٣] ، ولاسيما أبي عمرو الشيباني وابن الأعرابي[٤] ولم تصل إلينا رواية هذين العالمين لديوان امرئ القيس إلا إشارات عابرة لبعض رواية ابن حبيب وشرحه أوردها ابن النحاس في نسخته [٥] ، وإن كنا نرجح أن السكري قد اعتمد روايتهما أو رواية أحدهما أصلاً من أصول نسخته على ما سنبينه عند حديثنا عن رواية السكري .

ومن هذا العرض الموجز لروايات التلاميذ يبدو لنا — مما بقي لنا من رواياتهم — أنهم لم يدخلوا أنفسهم فيما رووه عن شيوخهم من علماء الطبقة الأولى ، بل اكتفوا بمجرد الرواية والنقل ، كما رأينا في حديثنا عن أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي وأبي حاتم السجستاني في روايتهما لديوان امرئ القيس عن الأصمعي ؛

---

(١) الفهرست : ٩١ .

(٢) الفهرست : ٢٢٣ .

(٣) الفهرست : ١٠٨ ، وطبقات اللغويين والنحويين : ١٥٣ حيث عد ابن حبيب من الكوفيين .

(٤) نزهة الألباء : ١٢٣ ، وياقوت ، إرشاد ١٨ : ١١٢ .

(٥) انظر مثلا ورقة : ٦ و ١٠ و ١٢ و ١٥ و ١٩ .

أو أنهم قد علقوا تعليقات يسيرة — حين كانت تقرأ عليهم هذه الدواوين من رواية شيوخهم — وكانوا فى بعض هذه التعليقات ينصون على أنهم لا يعرفون هذه القصيدة ، أو تلك الأبيات ، أو أنهم يشكون فيها أو ينكرونها ، ولكنهم مع ذلك يبقونها كما جاءت عن شيوخهم ويثبتون معها تعليقاتهم ، كما رأينا عند حديثنا عن رواية أبى عمرو الشيبانى لديوان امرئ القيس وقراءة الطوسى هذا الديوان برواية المفضل الضبى على أبى عبد الله ابن الأعرابى . ومن هنا حق لنا أن نذهب إلى أن هؤلاء التلاميذ قد حفظوا لنا روايات شيوخهم لدواوين الشعراء كما خلفها أولئك الشيوخ ، وأن عمل التلاميذ فى رواية هذه الدواوين ونقلها وشرحها والتعليق عليها ، لم يطمس معالم الرواية الأصلية التى صنعها علماء الطبقة الأولى من الرواة .

(ثالثاً) الروايات المجموعة :

ونقصد بها نسخة الديوان التى ضم فيها جامعها روايات مختلفة لرواة مختلفين من مدرستى البصرة والكوفة معاً . وقد رأينا بعد درسها أنها ضربان ، الضرب الأول : ما جُمعت فيه قصائد من روايات مختلفة جمعاً مختلطاً متداخلاً ، فترى قصيدة من رواية أبى عبيدة بين قصائد من رواية الأصمعى ، تكتنفها جميعاً قصائد من رواية المفضل وأبى عمرو الشيبانى ، ثم قصيدة أو قصائد من رواية الأصمعى وهكذا . . . ولا ينصّ فى الغالب على رواية القصيدة نفسها ، وإنما عرفنا ذلك من النسخ الأخرى التى عنيت بالنص على الرواية ، ويكثر فى هذا الضرب النصُّ على روايات بعض الألفاظ فى الأبيات المختلفة . ومن أجل هذا نرى أن الغاية من هذا الضرب الأول الجمعُ والاستقصاء وحدهما ، وتتبع كل ما نسب من الشعر لامرئ القيس وحشره بين دفتى ديوان ، من غير عناية برواية القصيدة فى مجموعها .

والضرب الثانى : ما جُمعت فيه قصائد رواية واحدة فى نسق متتابع ، ينصّ

فى أولها على أنها رواية فلان ، وينص فى آخرها على أنه « كمل شعر امرئ القيس من رواية فلان ». ثم يختار الجامع قصائد من روايات أخرى يضعها بعد القصائد الأولى ، وينص كذلك على أنها من رواية فلان أو فلان . ومع أن شرط الجمع متوافر فى هذا الضرب إلا أنه ليس غاية فى ذاته ، وإنما الغاية جمع رواية بعينها ثم اختيار قصائد من روايات أخرى .

الضرب الأول ــ الروايات المختلفة المتداخلة :

١ ــ نسخة السكرى :

أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى (ولد سنة ٢١٢ وتوفى سنة ٢٧٥)، وهو ممن خلط المذهبين[١]: البصرى والكوفى ، فأخذ عن أبى حاتم السجستانى والعباس بن الفرج الرياشى ، وهما من علماء المذهب البصرى ، وأخذ عن محمد بن حبيب ويعقوب بن السكيت ، وهما من علماء المذهب الكوفى . وكان مشهوراً بكثرة الجمع والاستقصاء فيه، حتى قالوا عنه إنه « كان إذا جمع جمعاً فهو الغاية فى الاستيعاب والكثرة »[٢]. وعرّفوه بأنه « الراوية الثقة المكثر[٣] ». أما نسخته من ديوان امرئ القيس فليست ــ لسوء الحظ ــ بين أيدينا حتى ندرسها عن عِيان ويقين . غير أن أهلوارد الذى طبع « العقد الثمين » ذكر فى مقدمته أنه اطلع على هذه النسخة واعتمدها أصلاً فى طبع شعر امرئ القيس الذى فى مجموعته . ومخطوطة هذه النسخة موجودة فى مكتبة ليدن وقد ذكر أهلوارد أنها كتبت سنة ٥٤٥ هـ[٤]، وأن لكثير من القصائد التى تضمها مقدمات. غير أن طبعة أهلوارد قد خلت من هذه المقدمات التى تسبق عادة القصائد ،

---

(١) الفهرست : ١١٧ .
(٢) ياقوت ، إرشاد ٨ : ٩٤ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) مقدمة العقد الثمين : ٢١ .

وإن كان أهلوارد جمعها ، أو جمع بعضها ، فى آخر الديوان[١]. غير أن هذه المقدمات التى جمعها فى آخر الديوان قد خلت خلواً تاماً من الإشارة إلى الرواية والرواة ، وهى لا تعدو أن تكون شرحاً مقتضباً لمناسبة بعض القصائد أو سبب نظمها . ومع هذا كله فقد قال أهلوارد فى مقدمة طبعته[٢] « يبدو أن نسخة السكرى مروية عن أبى عبيدة معمر بن المثنى البصرى الذى يحتمل أنه رواها عن شيخه أبى عمرو بن العلاء » . ولسنا ندرى ما الذى حمل أهلوارد على هذا الظن فليس فيما أورده فى طبعته أية إشارة إلى إسناد أو رواية . ومع أن النسخة الأصلية ليست بين أيدينا ، فإننا نرجح أن الأمر قد التبس على أهلوارد ، ونكاد نذهب إلى أن نسخة السكرى هذه ذات روايات مختلفة أكثرها كوفية ، ولنا على ذلك ثلاثة أدلة : أولها جوهرى ويكاد يكون يقيناً ، وهو أن فى هذه النسخة سبعاً وستين قصيدة ومقطعة لامرئ القيس ، بينما شعر امرئ القيس فى رواية الأصمعى ثمان وعشرون قصيدة ومقطعة فقط ، وهو فى نسخة الطوسى من الرواية الكوفية سبع وأربعون قصيدة ، منها اثنتان وأربعون من رواية المفضل نفسه ، والخمس الأخرى جمعها الطوسى من رواية غيره من الكوفيين ، ونص فى إحداها على أنها من رواية أبى عمرو الشيبانى . وشعره فى نسخة ابن النحاس ٥٦ قصيدة ومقطعة ، وفى النسخة التى سميناها نسخة الطوسى قصائد كثيرة ألحقها جامع مجهول بنسخة الطوسى فجاء شعر امرئ القيس فى هذه النسخة فى ست وسبعين قصيدة .

فإذا علمنا أن منهج البصريين التضييق فى الرواية والتحرى والتدقيق فى مصادرها ، وأن منهج الكوفيين التوسع فى الرواية والمصادر معاً ، وإذا قرنّا هذا بما رأيناه من أن رواية الأصمعى البصرى لشعر امرئ القيس جاءت فى ثمان وعشرين قصيدة ومقطعة فقط — وهى أقل روايات هذا الشعر كافة — علمنا

---

(١) العقد الثمين : ٢٢٠ - ٢٢٣ .

(٢) مقدمة العقد الثمين : ٦ .

أن نسخة السكرى بقصائدها ومقطعاتها السبع والستين لا يمكن أن تكون عن بصرى أو عن أبى عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء .

والدليل الثانى : هذا النصّ الصريح الواضح الذى ذكره ابن النديم فى معرض حديثه عن ديوان امرئ القيس ورواياته المختلفة، فقد قال[١]: « وصنعه من جميع الروايات أبو سعيد السكرى فجود » .

وأما الدليل الثالث : فهو أن السكرى — على أخذه عن البصريين — قد كان ، فيما يبدو لنا ، أميل إلى الكوفيين وأكثر أخذاً عنهم ، فهو متفق معهم فى المنهج الذى يرمى إلى التوسع فى المصادر ، والتكثر فى الرواية والجمع على ما بيناه فى صدر حديثنا عن السكرى . ومن أجل هذا نراه أكثر الأخذ عن محمد ابن حبيب كما ذكر ياقوت[٢]. ومحمد بن حبيب روى كتب ابن الأعرابى تلميذ المفضل .

ودليل رابع : فرع للدليل الثالث يدعمه ويقويه ، وهو أن الدواوين التى بين أيدينا من صنعة السكرى إنما رواها كلها عن محمد بن حبيب الكوفى المذهب ، ومنها ديوان حسان بن ثابت[٣]، وديوان الحطيئة[٤]، وديوان جرّان العَوْد[٥].

ومن أجل هذا كله — وخاصة من أجل الدليل الأول والثانى — نرجح أن نسخة السكرى هذه صنعها من جميع الروايات كما ذكر ابن النديم ، وأن معتمَد هذه النسخة — لكثرة قصائدها — على الروايات الكوفية ، وأنها لا يمكن أن تكون كلها من رواية أبى عبيدة وحده .

٢ — نسخة ابن النحاس :

وهى مما صوره — على ميكروفيلم — معهد إحياء المخطوطات العربية

(١) الفهرست : ٢٢٣ .
(٢) إرشاد ١٨ : ١١٢ .
(٣) طبعة ليدن سنة ١٩١٠ .
(٤) طبعة مطبعة التقدم بتصحيح أحمد بن الأمين الشنقيطى .
(٥) طبعة دار الكتب سنة ١٩٣١ .

بجامعة الدول العربية من مكتبة الأسكوريال ، وأوراقها ١٥١ ورقة مكتوبة بخط النسخ ، وليس عليها تاريخ كتابتها ولا اسم كاتبها ، وإن كان الأرجح أنها كتبت فى القرن السابع أو الثامن .

وأول إشكال يفجؤنا فى هذه النسخة هو تحقيق اسم صاحبها . فقد جاء فى الورقة الأولى : « شرح ديوان امرئ القيس المسمى بالتعليقة للعلامة ابن النحاس » ثم كتب بجوار هذه الكنية بخط مائل « بهاء الدين أبى العباس أحمد »، وبجانبه علامة التصحيح والاستدراك « صح » . وقد بذلنا جهدنا لمعرفة صاحب هذا الاسم ، فلم نعثر له على أثر فيما بين أيدينا من كتب الرجال والتراجم والطبقات . وليس فى هذه الكتب ممن يسمى ابن النحاس إلا اثنان ، أولهما أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس . والثانى : أبو عبد الله بهاء الدين ابن النحاس محمد بن إبراهيم بن محمد . فرجحنا أن يكون الكاتب الذى استدرك فى نسختنا على اسم ابن النحاس فجعله أبا العباس أحمد — قد أخطأ وأنه كان يقصد أبا عبد الله محمداً هذا الذى ذكرناه ، ولقبه بهاء الدين كما أثبته كاتب الاستدراك . فإذا كان ترجيحنا هذا صحيحاً — إذ لم نعثر على بهاء الدين أبى العباس أحمد ، ولعله لا وجود له — فإننا نريد أن نرجح ترجيحاً آخر وهو أن صاحب هذا الشرح هو أبو جعفر ابن النحاس المشهور ، وليس البهاء ابن النحاس . وتفصيل ذلك أن البهاء ابن النحاس (ولد سنة ٦٢٧ وتوفى سنة ٦٩٨) كان شيخ الديار المصرية ، وأكثر شهرته فى النحو — و « لم يصنف شيئاً إلا ما أملاه شرحاً لكتاب المقرب »[١] . فهو إذن من رجال القرن السابع ، بينما لانجد فى النسخة التى بين أيدينا ذكراً لأحد من الرواة بعد النصف الأول من القرن الرابع . بل إن فى هذه النسخة نصين جديرين بالوقوف عندهما ودرسهما . الأول قوله[٢]: « قال أصحابنا البصريون » . والثانى قوله[٣]: « سمعت ابن دريد

(١) بغية الوعاة : ٦ .
(٢) تعليقة ابن النحاس ورقة : ٥ .
(٣) المصدر السابق : ٤٤ .

قال : . . . » . وهما من أسباب ترجيحنا أن أبا جعفر ابن النحاس هو صاحب هذه التعليقة ، وذلك أن أبا جعفر قد رحل إلى بغداد ، وروى عن المبرد ، والأخفش على بن سليمان ، والزجّاج[١] ، وهم جميعاً من علماء المذهب البصرى . وروى من الأخبار ما فيه تضعيف للكوفيين ونيل منهم[٢] . فمن المعقول إذن أن يقول من كان هذا شأنه « قال أصحابنا البصريون » . ثم إن أبا جعفر بن النحاس توفى سنة ٣٧٧ هـ ، وتوفى ابن دريد سنة ٣٢١ ، وأخذ أبو جعفر عن شيوخ ابن دريد وعمن هم فى طبقته مثل المبرد والأخفش والزجاج ، وابن دريد بصرى المذهب مثل ابن النحاس وشيوخه ، فمن المعقول إذن لمن كان هذا شأنه أن يأخذ عن ابن دريد ، وأن يقول « سمعت ابن دريد » .

وشىء ثالث فى النسخة نفسها ، وذلك كثرة ما يرويه من شرح للألفاظ والأبيات عن أبى الحسن . ونحن نستبعد أن يعنى بأبى الحسن : الطوسى ، وذلك لأنه ذكر الطوسى صراحة فى مواطن كثيرة ولم يكنه . أما هذه الكنية التى تدل على الألفة والشهرة بحيث يكتفى بها ويستغنى عن التسمية فالمقصود بها — فى رأينا — على بن سليمان الأخفش ، وهو أستاذ أبى جعفر بن النحاس « وله سماع كثير عنه »[٣] .

فإذا أضفنا إلى هذا كله ما ذكرناه من أن البهاء ابن النحاس « لم يصنف شيئاً إلا ما أملاه شرحاً لكتاب المقرب » ، بينما نجد أن أبا جعفر ابن النحاس يعنى عناية كبيرة بالشعر ويؤلف فيه ، فله « شرح المعلقات » و « شرح المفضليات »[٤] ، و « فسر عشرة دواوين وأملاها »[٥] ، وله « كتاب أخبار

---

(١) طبقات اللغويين والنحويين : ٢٣٩ ، وياقوت ، إرشاد ٤ : ٢٢٤ .
(٢) طبقات اللغويين والنحويين : ٩٤ .
(٣) إنباه الرواة ١ : ١٠١ .
(٤) السيوطى ، البغية .
(٥) إنباه الرواة ١ : ١٠١ .

الشعراء»[١]ــ إذا ذكرنا ذلك كله استبانت لنا الأسباب التى من أجلها رجحنا أن يكون أبوجعفر بن النحاس هو صاحب هذه النسخة وليس البهاء بن النحاس .

أما النسخة نفسها ففيها ست وخمسون قصيدة ومقطعة لامرئ القيس ، وهى مجموعة من روايات مختلفة متداخلة : بصرية وكوفية ، وفى كثير منها نص على راويها ، أو نص على أن فلاناً معها وأنكر نسبتها لامرئ القيس ، أو أن فلاناً لم يعرفها . ويبدو أن ابن النحاس قد اعتمد نسخة اليزيدى من ديوان امرئ القيس أصلاً ، وهو أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن يحيى ابن المبارك اليزيدى المتوفى سنة ٣١٠ هـ . ويبدو كذلك أن نسخة اليزيدى هذه قد قرئت على ابن دريد ، قرأها رجل كنيته أبو عمران فاعتمد ابن النحاس نسخة اليزيدى أصلاً ثم أضاف إليها ما ذكره ابن دريد وغيره من الزيادات أو الشروح أو الاستدراكات . وحديث ابن النحاس عن هذه النسخة يدل على هذا الذى ذكرناه ، فهو يقول[٢] : « كان فى نسخة اليزيدى كذا وهو خطأ وحقه كذا ... » ، و « فى نسخة اليزيدى كذا ...[٣] » ، و « قال ابن دريد : دفعها الأصمعى ورواها قوم لابن أحمر ، وهى فى أصل اليزيدى »[٤] ، و « هذا البيت ليس فى اليزيدى . . . وقد قرأه أبو عمران »[٥] ، و « هذا البيت ليس فى نسخة اليزيدى وقد قرأه أبو عمران على ابن دريد »[٦] ، و « زيادة على اليزيدى قرأها أبو عمران »[٧] ، و « روى الأصمعى وقرأه أبو عمران على ابن دريد »[٨] ، و « كذا هو فى اليزيدى[٩] » .

(١) المصدر السابق ١ : ١٠٣ .
(٢) تعليقة ابن النحاس ورقة : ٤٩ .
(٣) المصدر السابق : ٥٣ .
(٤) المصدر السابق : ٥٣ .
(٥) المصدر السابق : ٥٨ .
(٦) المصدر السابق : ٩١ .
(٧) المصدر السابق : ١٠٩ .
(٨) المصدر السابق : ١٢٢ .
(٩) المصدر السابق : ١٢٦ .

أما الرواة العلماء الذين يرد ذكر رواياتهم أو شروحهم فى هذه النسخة فهم : الأصمعى وأبو عبيدة وأبو حاتم والفرّاء والطوسى وأبو سعيد السكرى وابن حبيب والمفضل وأبو عمرو الشيبانى وابن الأعرابى وابن دريد واليزيدى .

وفى هذه النسخة أمر جدير بالنظر انفردت به نسخة ابن النحاس دون غيرها من النسخ والروايات ، وهو ترتيب القصائد على حروف الروىّ . غير أنه بدأ بالمعلقة ، ثم أورد جميع القصائد اللامية ، ثم أتبعها بالرائيات ، ثم البائيات ، ثم تسلسل مع حروف الهجاء إلى الياء ، غير أنه قدم الضاد على الصاد . ويبدو أن سبب هذا الترتيب أنه بدأ بالمعلقة لشهرتها وقيمتها ، ولما كانت المعلقة لامية فقد أتبعها بجميع القصائد اللاميات ، ثم ثنّى بالرائيات لأنها أكثر عدداً من قصائد الحروف الأخرى ، فلما انتهى منها تساوت عنده القصائد الباقية فسردها على تتابع حروف الهجاء .

وأمر آخر جدير بالنظر ويدل على عناية ابن النحاس بالترتيب والتبويب والتقسيم : أنه يذكر بعد كل بيت ثلاثة عناوين : « ما فيه من الغريب » ، و « ما فيه من الروايات » ، و « ما فيه من المعنى .. » ، ثم يذكر بعد كل عنوان ما يجده فى بابه ، وهو يتبع هذا التقسيم بعد كل بيت ولا يكاد يخرج عنه إلا حيث لا يجد شيئاً يذكره بعد أحد هذه العناوين .

الضرب الثانى : أما الضرب الثانى من هذه الروايات المجموعة فهو ما جمع فيه أحد العلماء الرواة شعر امرئ القيس من الروايات المختلفة للرواة البصريين والكوفيين معاً ، غير أنه بدأ بمجموعته برواية واحدة لعالم راوية واحد ، حتى إذا استقصى ما جاء فى هذه الرواية من شعر امرئ القيس نص ذلك العالم على أن رواية فلان قد انتهت ، ثم يورد لنا مختارات انتقاها من الروايات الأخرى . وبذلك يختلف هذا الضرب عن الضرب السابق فى أنه يقدم لنا رواية واحدة مستقلة قائمة بنفسها واضحة المعالم . وقد بقى لنا من هذا الضرب ثلاث نسخ :

١ — نسخة الطوسى :

وفى تسميتنا لها بنسخة الطوسى شىء من التجاوز ، وذلك لأن هذه النسخة — وهى مكتوبة فى سنة ٤٠٣ هـ، وعدد أوراقها ١٠٤ ، ومحفوظة فى مكتبة لاله لى فى تركيا، ومصورة على ميكروفيلم فى معهد إحياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية — قد جمعها جامع مجهول ليس فى النسخة ما يدل عليه . وقد عثر — فيما يبدو — على نسخة الطوسى فجعلها الأصل الذى اعتمد عليه فى نسخته، ثم أضاف إلى نسخته بعد ذلك ستًّا وعشرين قصيدة ومقطعة مما لم يذكره الطوسى فى نسخته ، وقد ميز بين نسخة الطوسى وما أضافه هو من الشعر بقوله : « تمت نسخة أبى الحسن الطوسى من القديم الصحيح والمنحول، ومما كتبناه عن غيره من منحول شعره، وهو المنحول الثانى : . . . » ثم جعل عنوان مجموعته كلها : « ديوان امرئ القيس ، رواية أبى الحسن الطوسى وأبى نصر أحمد ابن حاتم عن الأصمعى عبد الملك بن قريب عن أبى عمرو الشيبانى». وهو عنوان غير مستقيم وصحته — فيما نرى — : « ديوان امرىء القيس رواية أبى الحسن الطوسى عن أبى عمرو الشيبانى ، وأبى نصر أحمد بن حاتم عن الأصمعى عبد الملك ابن قريب » . وقد وجدنا بعد دراسة هذه النسخة وما فيها من روايات — أنها أصلاً نسخة الطوسى وروايته ، وأن جامع النسخة المجهول قد علق على بعض القصائد التى وجدها فى نسخة الطوسى تعليقات أخذها من نسخة أخرى رواها أحمد بن حاتم عن الأصمعى ، ومع تداخل هذه التعليقات والإشارات إلا أن الفصل بين الروايتين وتمييزهما سهل .

أما نسخة الطوسى (أبو الحسن على بن عبد الله بن سنان المتوفى فى نحو سنة ٢٥٠هـ) فهى قسمان ، أورد فى القسم الأول منهما رواية المفضل بن محمد الضبى — الكوفى (المتوفى سنة ١٦٨) لشعر امرئ القيس ، وقد درسنا هذا القسم حين تحدثنا عن الأصول الكوفية لرواية ديوان امرئ القيس ، ولا حاجة

بنا إلى إعادة هذا الحديث . وأما القسم الثانى من نسخة الطوسى فهو مختارات انتقاها من غير رواية المفضل ، فقد قال بعد القصيدة الثانية والأربعين من نسخته « هذا آخر رواية المفضل ، والذى يلى هذا ما رواه أبو عبيدة معمر ابن المثنى التيمى والأصمعى » . ثم يذكر سبع قصائد . ويبدو أن فى هذه الجملة التى أنهى بها رواية المفضل نقصاً لا بد من إثباته حتى يستقيم الكلام مع رواية القصائد السبع التالية . وذلك لأن ثلاث قصائد فقط من هذه السبع رواها الأصمعى حقًّا ، أما الأربع الأخرى فلم ترد فى رواية الأصمعى ، وإنما ذكر اثنتين منها الأعلم فى نسخته بعد أن أورد رواية الأصمعى لشعر امرئ القيس ، ونص على أن هاتين القصيدتين — مع قصائد أخرى ذكرها — هما من القصائد المتخيرات مما لم يرو أبو حاتم عن الأصمعى ، وإنما « مما روى أبو عمرو والمفضل وغيرهما . . . » ، وإذ قد نص الطوسى فى نسخته ، وكذلك الأعلم فى نسخته ، على أن إحدى هاتين القصيدتين وهى : « جزعت ولم أجزع من البين مجزعاً » من رواية أبى عمرو الشيبانى ، فلعل هذه القصائد الأربع الأخيرة — من القصائد السبع التى أوردها الطوسى فى نسخته من غير رواية المفضل — هى من رواية بعض الكوفيين ، أو لعلها مما روى أبو عمرو الشيبانى ذاته . ومن أجل هذا قلنا إن فى عبارة الطوسى التى أنهى بها رواية المفضل نقصاً ، ونرى أن هذه العبارة تكمل وتستقيم مع رواية القصائد التالية لو أضفنا إليها كلمة « وغيرهما » فتصبح عبارته « هذا آخر رواية المفضل ، والذى يلى هذا ما رواه أبو عبيدة معمر ابن المثنى التيمى والأصمعى وغيرهما » .

٢ — نسخة عاصم :

هو الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسى البلوىّ النحوى ، المتوفى فى سنة ٤٦٤ هـ . ونسخته من ديوان امرئ القيس جزء من مجموعته لدواوين الشعراء الستة : امرئ القيس والنابغة وعلقمة وزهير وطرفة وعنترة . وهذه المجموعة

قد وصلتنا كاملة ، ومخطوطاتها موجودة فى بعض المكتبات ، ومنها مخطوطة فى مكتبة فيض الله بتركيا صورها على ميكروفيلم معهد إحياء المخطوطات العربية. أما ديوان امرئ القيس وحده من هذه المجموعة فقد طبع عدة طبعات : طبع فى تونس سنة ١٢٨٢ هـ ، وطبع فى القاهرة بمطبعة هندية مرتين : سنة ١٩٠٦ م وسنة ١٩٢٨ م . وسنتحدث عن شعر الشعراء الستة وعن نسخة عاصم من شعر امرئ القيس ،حين نتحدث عن نسخة الأعلم فإن النسختين : نسخة عاصم والأعلم ، قد اتخذتا من رواية الأصمعى لشعر امرئ القيس أصلاً اعتمدتاه، وقد اتفقت النسختان فى هذا القسم من الشعر ، غير أن الأعلم اختار بعد ذلك ست قصائد من غير رواية الأصمعى ، بينما لم يختر عاصم إلا قصيدة واحدة من رواية المفضل وأبى عمرو الشيبانى بدأ بها الديوان هى « أحار بن عمرو كأنى خمر » ، ثم أورد القصائد التى أوردها الأعلم من رواية الأصمعى غير أن فى ترتيب بعض القصائد اختلافاً . ثم إن الأعلم نص على أن ما أورده هو من رواية الأصمعى ، وميز بين هذه الرواية ورواية غيره ، ولكن عاصماً لم يشر إلى رواية الأصمعى بل لم يُعنَ بالرواية جملةً. وسبب هذا الاتفاق بينهما أنهما أخذا عمن أخذ عن أبى على القالى — على ما سنبينه حين نتحدث عن الأعلم. وقد ذكر الوزير أبوبكر عاصم أنه اطلع على نسخة لهذا الديوان قوبلت بنسخة أبى على[1]، وأشار فى موطن آخر — فى معرض حديثه عن لفظ — إلى أنه وجده فى النسخة الصحيحة[2]، فلعله يقصد نسخة أبى على أيضاً .

٣ — نسخة الأعلم :

هو العالم اللغوى يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمرى، أبو الحجاج الأعلم، المتوفى سنة ٤٧٦ هـ . وله هذه المجموعة الشعرية التى تشتمل على دواوين الشعراء الستة الذين ذكرناهم ، ومنها نسخ كثيرة فى مكتبات العالم : فى مكتبة باريس

(١) شرح ديوان رئيس الشعراء ، ط . هندية ١٩٠٦ ص : ١٣٥ .
(٢) المصدر السابق : ١٠٧ .

مخطوطتان هما رقم ١٤٢٤ و ١٤٢٥ ، وقد اعتمدهما دى سلان أصلاً فى طبعته لديوان امرئ القيس التى طبعت فى باريس سنة ١٨٣٦ — ١٨٣٧ م، وسماها « نزهة ذوى الكيس وتحفة الأدباء فى قصائد امرئ القيس »، وكذلك اعتمدها أهلوارد أصلاً فى طبعته لدواوين الشعراء الخمسة — عدا امرأ القيس — التى طبعت فى لندن سنة ١٨٧٠ وسماها « العقد الثمين فى دواوين الشعراء الستة الجاهليين » . وقد وصفهما دى سلان وأهلوارد فى مقدمتيهما وصفاً مفصلاً . وكتبت أولاهما سنة ٥٧١ ، وثانيتهما فى القرن الحادى عشر الهجرى . وفى مكتبة غوطة مخطوطة أخرى رقمها ٥٤٧ وصفها أهلوارد ورجع إليها . وفى دار الكتب المصرية مخطوطتان من هذه المجموعة الأولى رقمها ٤٥٠ تيمور وكتبت سنة ١٢٦٨ هـ ، والثانية رقمها ٨١ ش . وقد اتبع الأعلم فى جميع دواوين مجموعته خطة واحدة ، فكان يبدأ فى كل ديوان برواية الأصمعى حتى إذا استوفاها نص على انتهائها وميّز آخرها ، ثم يذكر قصائد يختارها من رواية الكوفيين لشعر ذلك الشاعر ، قد ذكر خطته هذه ذكراً واضحاً فى مقدمته، قال[1]. « واعتمدت فيما جلبته من هذه الأشعار على أصح رواياتها وأوضح طرقاتها ، وهى رواية عبد الملك بن قريب الأصمعىّ ، لتواطؤ الناس عليها واعتيادهم لها ، واتفاق الجمهور على تفضيلها . وأتبعت ما صح من رواياته قصائدَ متخيرة من رواية غيره ، وشرحت جميع ذلك شرحاً يقتضى تفسير جميع غريبه ، وتبيين معانيه وما غمض من إعرابه . . . »

أما سبب اختيار هؤلاء الشعراء الستة بذواتهم فقد أشار إليه الأعلم كذلك فى مقدمته قال[1] « . . . رأيت أن أجمع من أشعار العرب ديواناً يعين على التصرف فى جملة المنظوم والمنثور ، وأن أقتصر منها على القليل ، إذ كان شعر العرب كله متشابه الأغراض ، متجانس المعانى والألفاظ ، وأن أوثر بذلك من الشعر ما أجمع الرواة على تفضيله ، وإيثار الناس استعماله على غيره . . . ». وقد بحث

---

(١) شرح الأعلم ورقة : ١ .

ذلك أيضاً أهلوارد فى مقدمته ، فذهب إلى أن اختيار هؤلاء الستة يعود إلى ثلاثة أمور[١]: قيمة شعرهم الفنية ، وكثرة قصائدهم وطولها إذا قيست بقصائد معاصريهم ، وعنايتهم بالحوادث ذات الذكريات المجيدة وبالأشخاص ذوى المكانة التاريخية السامية ، فلم تطغ على شعرهم وحياتهم الحوادث المحلية الصغيرة كما طغت على حياة الشعراء الذين سبقوهم أو عاصروهم .

أما رواية الأعلم لهذه الدواوين فهى متصلة السند إلى الأصمعى نفسه ، وقد ذكر ابن خير الأموىّ إسناد هذه الرواية فى فهرسته[٢] فقال: « كتاب الأشعار الستة الجاهلية شرح الأستاذ أبى الحجاج يوسف بن سليمان النحوى الأعلم ، رحمه الله — حدثنى بها أيضاً قراءة منى عليه لها ولشرحها : الوزير أبو بكر محمد بن عبد الغنى بن عمر بن فندلة رحمه الله — عن الأستاذ أبى الحجاج الأعلم مؤلفه رحمه الله — يرويها الأستاذ أبو الحجاج الأعلم المذكور ، عن الوزير أبى سهل بن يونس بن أحمد الحرانى ، عن شيوخه أبى مروان عبيد الله ابن فرج الطوطالى وأبى الحجاج يوسف بن فضالة وأبى عمر بن أبى الحباب ، كلهم يرويها عن أبى على القالى ، عن أبى بكر بن دريد ، عن أبى حاتم ، عن الأصمعى رحمه الله » .

أما نسخة الأعلم من ديوان امرئ القيس — وهو أول دواوين هذه المجموعة — فتضم أربعاً وثلاثين قصيدة ومقطعة جعلها قسمين ، الأول: ما رواه أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى ، وهى ثمان وعشرون قصيدة ومقطعة — استثنينا منها واحدة ، وهى « ألا إلاّ تكن إبل فمعزى » ، وذلك لأن الأعلم نفسه ذكر أن الأصمعى كان يقول: « امرؤ القيس ملك ولا أراه يقول هذا ، فكأن الأصمعى أنكرها » . ولأن الوزير أبا بكر عاصم بن أيوب ذكر حين أورد هذه المقطعة أن الأصمعى قال[٣]: « امرؤ القيس لا يقول مثل هذا ، وأحسبه للحطيئة » .

---

(١) العقد الثمين — المقدمة : ٢ - ٣ .
(٢) فهرست ابن خير : ٣٨٨ .
(٣) شرح ديوان امرىء القيس : ١٦٥ .

فرأينا أن قول الأصمعي بسقط هذه الأبيات من جملة ما رواه له ، ويسلكها في عداد الأبيات والقصائد التي كان يشرحها ، ولكنه ينص على أنها ليست لامرئ القيس — وبذلك تكون رواية الأصمعي لشعر امرئ القيس سبعاً وعشرين قصيدة فقط ، قال في ختامها : « قال أبو حاتم : هذا آخر ما صح الأصمعي من شعر امرئ القيس ، والناس يحملون عليه شعراً كثيراً وليس له ، إنما هو لصعاليك كانوا معه » ثم قال : « كملت رواية أبي حاتم عن الأصمعي والحمد لله » . أما القسم الثاني من نسخة الأعلم فيشتمل على ست قصائد اختارها من رواية الكوفيين ، ونص في ثلاث منها على أنها مما روى أبو عمرو الشيبانى. وقد قدم لهذا القسم بقوله « قال أبو الحجاج يوسف بن سليمان : ونذكر قصائد متخيرات مما لم يرو أبو حاتم ... »، وقد ذكر الطوسى في نسخته أربعاً من هذه القصائد من رواية المفضل، ثم ذكر اثنتين من رواية غيره من الكوفيين .

رواية الأصمعي والمفضل :

رأينا من كل ما قدمنا من حديث عن نسخ ديوان امرئ القيس ورواياته — أن الأصلين الأوليين والمصدرين الرئيسيين اللذين اعتمدت عليهما هذه النسخ هما : رواية الأصمعي البصرى ورواية المفضل الكوفى ، وأن ما جاء في بعض النسخ من القصائد الزائدة على هاتين الروايتين مما جمعه بعض الجامعين ، فقليل جداً منها مروى عن أبي عمرو الشيبانى ، أما الباقى فقد نُصَّ على كثير منه بأنه منحول لامرئ القيس ، وأن صحة نسبته إلى فلان أو فلان من الشعراء . ومن أجل هذا سنقصر حديثنا الآن على هاتين الروايتين ، وبيان مصادرهما ، ووصف طبيعتهما ، ثم نعقب بذكر مطالع القصائد التي رواها الأصمعي أولاً ، والتي رواها المفضل ثانياً ، ونذكر في كل مطلع النسخ الأخرى التي ترد فيها هذه القصيدة .

مصادر الروايتين :

فإذا كانت نسخ ديوان امرئ القيس المسندة تنتهى روايتها — كما رأينا — عند الأصمعى البصرى ، وعند المفضل الكوفى ، فمن أين انحدرت إليهما قصائد هذا الديوان؟ وكيف وصلهما هذا الشعر الذى حُفِظ لنا فى روايتهما ؟

أما الأصمعى فيبدو أن طريقنا إلى معرفة مصادره أوضح من طريقنا إلى معرفة مصادر المفضل ، لأن الأصمعى قد نص على هذا الطريق وكشف لنا عن تلك المصادر ، وذلك أن أبا حاتم قال[1]: « قال الأصمعى : كل شىء فى أيدينا من شعر امرىء القيس فهو عن حماد الراوية ، إلا نتفاً سمعتها من الأعراب وأبى عمرو بن العلاء » . فقد استقى الأصمعى إذن شعر امرئ القيس من ثلاثة مصادر : حماد ، وهو المصدر الأكبر ، والأعراب ، وأبى عمرو بن العلاء . فإذا كان ذلك صحيحاً — وليس بين أيدينا ما يدفعه — فعلينا أن نقبله جملةً كما هو ، إذ من العسير أن نعرف القصائد التى استقاها من كل مصدر من هذه المصادر الثلاثة . ومع ذلك فقد بقيت لنا بعض الإشارات التى تؤيد هذا القول ، وذلك أن الأصمعى يشير فى روايته المحفوظة فى نسخة الأعلم — إلى أبى عمرو ابن العلاء فى موضعين ، الأول : حين روى عنه قصيدة امرئ القيس التى مطلعها :

دِيَمَةٌ هَطْلَاءُ فِيها وَطَفٌ طَبَقُ الأَرْضِ تَحَرَّى وَتَدُرّ

فقد ذكر الأصمعى أن أبا عمرو بن العلاء أخذ هذه القصيدة من ذى الرمة . والموضع الثانى : حينما روى عنه أيضاً خبر منازعة امرئ القيس والتوءم اليشكرى وأنصاف أبياتهما . وفى نسخة الطوسى يشير الأصمعى أيضاً إلى أبى عمرو بن العلاء فى معرض حديثه عن القصيدة التى نسبها المفضل الضبى وأبو عمرو الشيبانى وغيرهما من الكوفيين إلى امرىء القيس ومطلعها :

أَحَارِ بنَ عَمْرٍو كَأَنِّى خَمِرْ وَيَغْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يأْتَمِرْ

(١) مراتب النحويين ، ورقة ١١٦ — ١١٧ ، والمزهر ٢ : ٤٠٦ .

فقد أنكرها الأصمعى وقال: « أنشدنيها أبو عمرو بن العلاء لرجل من النمر ابن قاسط يقال له ربيعة بن جشم » . وأشار الأصمعى أيضاً إلى بعض ما أخذه عن الأعراب من شعر امرئ القيس ، فمن ذلك أن التبريزى حينما أورد بيت المعلقة :

تَرَى بَعَرَ الْأَرْآمِ فِى عَرَصَاتِهَا وَقِيعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ

قال[1]: « وهذا البيت وما بعده مما يزاد فى هذه القصيدة »، ثم قال: « قال الأصمعى : والأعراب ترويهما » .

وقد تكون ثمة إشارات أخرى — لم نعثر نحن عليها — إلى أبى عمرو بن العلاء وإلى الأعراب فى رواية الأصمعى ، غير أنها مع ذلك لا تعدو أن تكون أمثلة ونماذج تدعم القول الذى سقناه للأصمعى يبين فيه مصادر روايته لشعر امرئ القيس ، ولكنها لا يمكن أن تبين — على وجه الحصر — ما أخذه الأصمعى عن أبى عمرو ، وما أخذه عن الأعراب ، ثم ما أخذه عن حماد . ومن أجل هذا قلنا قبل قليل إنه لا مفر لنا من أن نقبل قوله هذا جملة كما هو ، فتكون بذلك أكثر رواية الأصمعى لشعر امرئ القيس عن حماد الراوية ثم أضاف إليها نتفاً أخذها عن أبى عمرو بن العلاء وسمعها من الأعراب .

وقد تحدثنا فى الفصل الثانى من الباب الثانى عن عناية أبى عمرو بن العلاء وحماد الراوية بالتدوين والمدونات ، ورجحنا أن يكون قد وصلت إليهما بعض مدونات الشعر الجاهلى من العصور التى سبقتهما ، ولا نحب أن نعيد هنا ما ذكرناه هناك ، غير أننا نريد أن نذكّر بأن حماداً كان فى بيته كتابا قريش وثقيف ، وأنه نظر فيهما ليستذكر ما فيهما من شعر حين استقدمه الخليفة الأموى الوليد بن يزيد[2]. وأنه كان فى بيته كذلك ديوان العرب، فلما أراد هذا الخليفة نفسه « أن يجمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ، استعار من حماد ، ومن جناد بن واصل الكوفى ، ما عندهما من الكتب والدواوين فدوّنها

(١) شرح القصائد العشر : ٧ .
(٢) الأغانى ٦ : ٩٤ .

عنده ، ثم رد إليهما كتبهما »[١] . وأن حماداً كان عنده جزء من شعر الأنصار[٢]. وأن أبا حاتم السجستانى رأى بعض كتب حماد فى الشعر الجاهلى فرجع إليها وأثبت ما وجده فيها زائداً على ما جمع من الشعر وإنْ كان نصٌّ على أن هذه الزيادات هى من الشعر المصنوع[٣].

فرواية الأصمعى لشعر امرئ القيس — حين يرتفع سندها إلى حمادِ الرواية وأبى عمرو بن العلاء — إنما تعتمد ، بعض الشىء ، على صحائف متفرقة ، أو دواوين مجموعة ، كانت عند هذين العالمين ، وربما وصلتهما من العصور السابقة على عصرهما ، فضلاً عن اعتمادها على السماع والرواية الشفهية .

غير أن الأصمعى لا يمكن أن يكون قد قبِل كل ما سمعه من حماد ، فإن ذلك مخالف لمنهج الأصمعى وطبيعة روايته مما سنتحدث عنه بعد قليل . إنما المرجح أن الأصمعى قد سمع ما عند حماد من شعر امرئ القيس ودوَّنه ، ثم سمع ما عند شيخه أبى عمرو بن العلاء وعرض عليه بعض ما سمعه من حماد ودوَّن رواية أبى عمرو وتعليقاته ، ثم دوَّن النتف التى سمعها من الأعراب ، وعاد على كل ذلك بالنقد والتحقيق والتمحيص ، فأسقط منه ما أسقط ، ولعله كثير جداً ، ثم دوَّن نسخته الخاصة من شعر امرئ القيس وأثبت فيها ما اطمأن هو نفسه إلى صحة نسبته إلى هذا الشاعر ، وهذه النسخة هى التى حفظها لنا الأعلم والتى ذكر أبو حاتم فى نهايتها أن « هذا آخر ما صحح الأصمعى من شعر امرئ القيس » .

ومما يؤيد ما نذهب إليه من اتصال رواية الأصمعى بالمدونات أننا نجد الأصمعى ينكر أن تكون القصيدة جملة لامرئ القيس ، وينسبها لشاعر آخر ، أو يقبل القصيدة وينكر أبياتاً منها ، ومع ذلك نجده يشرح هذه القصائد التى

---

(١) الفهرست : ١٣٤ .
(٢) الأغانى ٦ : ٨٧ .
(٣) مختارات ابن الشجرى : ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٦ .

أنكرها ، وتلك الأبيات التى دفعها ؛ وتعليل ذلك — فيما نرجح — أن ديوان امرئ القيس قد وصل مدوناً مكتوباً إلى عصر الأصمعى ، وأن الأصمعى — وغيره من الرواة العلماء — كانوا يقرأون هذا الديوان الذى وصلهم مدوناً ، أو يقرؤه عليهم بعض تلاميذهم ، فيضطرون إلى التعرض لكل قصيدة فى ذلك الديوان بالنقد والتعليق : يدفعون من قصائده أو أبياته ما يشكُّون فيها ، وقد ينسبونها إلى الشاعر الذى يرجحون أنه قالها ، ويثبتون منها ما يطمئنون إلى صحته ، ولكنهم مع ذلك يشرحون لتلاميذهم فى مجالس علمهم جميع ما فى ذلك الديوان من شعر صحيح ومنحول . ومن هنا وجدنا شرحاً للأصمعى على قصائد وأبيات أنكر نسبتها لامرئ القيس .

أما المفضل الضبىّ فيبدو كذلك أن روايته متصلة بالمدوّنات التى وصلت إليه من العصور السابقة ، وسنفصل القول فى ذلك حين نتحدث عن المفضليات فى الفصل الثالث من هذا الباب ؛ وسنجد هناك أن المفضل قد اختار قصائده من الدواوين المدونة ، واستخرجها من الكتب التى كانت فى مكتبته . وإنْ كان يعوزنا النص الصريح على ذلك فى روايته لديوان امرئ القيس ذاته ، إلا أننا نحمل هذا على ذاك .

طبيعة الروايتين ومنهجهما :

وكان من نتيجة ما قام به الأصمعى من نقد وتحقيق ونخل وتمحيص لما استقاه من شعر امرئ القيس من تلك المصادر الثلاثة — أن جاءت روايته لديوانه فى سبع وعشرين قصيدة ومقطّعة فقط ، وهى أقل الروايات التى عثرنا عليها كافةً . وتعليل ذلك فى هذا المنهج الذى أخذ به البصريون عامةً أنفسهم ولا سيما الأصمعى . وهو منهج يقوم — كما قدمنا فى غير هذا الفصل — على التضييق فى المصادر التى يستقون منها ، والتحرِّى فى الرواية التى يقبلونها . وأخذ الأصمعى نفسه — فى حدود هذا المنهج — بأكثر مما أخذ به البصريون عامةً

نفوسهم، فقد قال ابن مناذر[١]: « كان الأصمعي يجيب فى ثلث اللغة، وكان أبو عبيدة يجيب فى نصفها ، وكان أبو زيد يجيب فى ثلثيها ، وكان أبو مالك (عمرو بن كركرة الأعرابى) يجيب فيها كلها » . وقد فسر أبو الطيب اللغوى المقصود بهذا الكلام، فقال « وإنما عنى ابن مناذر توسعهم فى الرواية والفتيا ، لأن الأصمعى كان يضيّق ولا يجوّز إلا أفصح اللغات ،ويلحّ فى ذلك ويمحك، وكان مع ذلك لا يجيب فى القرآن وحديث النبى صلى الله عليه وسلم . فعلى هذا يزيد بعضهم على بعض » .

ومع أن الكوفيين عامةً كانوا أكثر توسعاً فى المصادر — على ما ذكرناه فى فصل سابق — وأكثر تساهلاً وتجوزاً فى قبول الروايات ، غير أن المفضل بن محمد كان يأخذ نفسه بمثل المنهج البصرى من التضييق والتحرى ، ومن أجل هذا وثّقه البصريون أنفسهم وأخذوا عنه[٢] . وكان من نتيجة تضييقه وتحريه أن جاءت روايته لديوان امرئ القيس فى أربعين قصيدة ومقطعة ؛ وهى أكثر من رواية الأصمعى ، ولكنها تقل كثيراً عما جاء فى النسخ التى جمعت روايات ديوان امرئ القيس المختلفة — وأكثرها روايات كوفية — مثل نسخة السكرى ونسخة ابن النحاس .

والحق أن هذه الزيادة فى رواية بعض الكوفيين لا تعنى أنهم كانوا يضعون ويصنعون ، أو ينحلون ويتزيدون ، ونحن نقصد بطبيعة الحال الثقات منهم من أمثال : المفضل الضبى وأبى عمرو الشيبانى ومحمد بن زياد الأعرابى . فلقد مر بنا توثيق البصريين أنفسهم للمفضل وأخذهم عنه ، وأما أبو عمرو الشيبانى فقد كان ثقة ثبتاً عند أصحاب المذهبين معاً يوثقونه جميعهم ؛ ولم نجد لأحد طعناً عليه فى روايته أو توهيناً له؛ وأما ابن الأعرابى فكان ربيب المفضل وتلميذه وقد أخذ عنه دواوين الشعر وصححها ، وقالوا فيه إنه « لم يكن فى الكوفيين أشبه

---

(١) مراتب النحويين ، ٦٧

(٢) أخبار النحويين البصريين : ٥٦ — ٥٧

برواية البصريين منه »[1]. وإنما مرد هذه الزيادة فى الرواية — كما ذكرنا من قبل فى مواطن متعددة — إلى اختلاف مصادر المدرستين واختلاف منهجيهما ، فقد ذكرنا أن الكوفيين كانوا يأخذون عن أعراب رواة لم يكن البصريون يأخذون عنهم ، وأخذ الكوفيون عن علماء وشيوخ من أهل البصرة وزادوا فأخذوا عن علماء وشيوخ لم يأخذ عنهم البصريون ، ووقع بين أيدى أهل الكوفة من الصحف المدونة ما لم يقع مثله لأهل البصرة . وكان من نتيجة هذا الاختلاف فى المصادر وفى المناهج أن اختلف بعض الشعر الذى رواه علماء كل من المدرستين ، وأن جاء الشعر فى رواية الكوفيين أكثر منه فى رواية البصريين .

وكما كان البصريون ينقدون ويمحصون كان كذلك الكوفيون ينقدون ويمحصون ، وكان علماء المدرستين معاً لا يقبلون كل ما يسمعون أو يقرأون ، وإنما كانوا يعرضونه على محك النقد والتمحيص. حتى إن الكوفيين — على توسعهم فى المصادر وتكثرهم فى الرواية — أسقطوا بعض القصائد التى رواها الأصمعى لامرىء القيس وأنكروها. فلم يرو المفضل سبع قصائد ومقطعات رواها الأصمعى ، وإسقاطها من روايته دليل على أنه لم يعدّها من شعر امرئ القيس الصحيح فى رأيه ، وكذلك روى الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قصيدة لامرئ القيس مطلعها :

أَمَاوِيَّ هَلْ لِي عِنْدَكُمْ مِنْ مُعَرَّسِ أَمِ الصَّرْمَ تَخْتَارِينَ بِالْوَصْلِ نَيْئَسِ

فأنكرها أبو عمرو الشيبانى — أو غيره من الكوفيين — وقال إنها ليست لامرئ القيس وإنما هى لبشر بن أبى خازم[2] . وكذلك أنكر الكوفيون قصيدة أخرى رواها الأصمعى وأبو عبيدة ومطلعها :

يا هِنْدُ لاَ تَنْكَحِي بُوْهَةً عَلَيْهِ عَقِيقَتُهُ أَحْسَبَا

---

(١) طبقات النحويين واللغويين : ٢١٣ .

(٢) القصيدة : ٤٤ من نسخة الطوسى .

وقالوا إنها منحولة .

ولقد كانت كثرة رواية الكوفيين مطعناً عليهم عند البصريين ، فاتهموهم بالتكثر والتزيد ، غير أننا رأينا أنها كثرة لا تكثر ، وزيادة لا تزيد ، وأن الثقات الأثبات من الكوفيين كانوا كالثقات الأثبات من البصريين : ينقدون ويمحصون ويتحرّون ، غير أن اختلاف المصدرين واختلاف المنهجين أدّيا إلى أن يكون ما عند الكوفيين أكثر مما عند البصريين . ومع ذلك فإن ثمة أمراً نحسبه من الوضوح والبداهة بحيث لا يحتاج إلى تفصيل فى القول طويل ، وهو أن توثيقنا للعلماء الرواة من الكوفيين وللعلماء الرواة من البصريين لا يعنى أن كل ما يروون شعر صحيح مقطوع بصحته ، لا سبيل إلى الشك فيه أو الطعن عليه . وإنما أردنا أن نؤكد تأكيداً واضحاً أن هؤلاء العلماء الرواة لا يمكن أن يكونوا كذابين يتعمدون الكذب ، ولا وضاعين يحترفون الوضع ، وأن رواية هؤلاء العلماء الرواة فى مجموعها رواية صحيحة أو قريبة من الصحة ، وأن هؤلاء العلماء الرواة قد أفرغوا جهدهم وبذلوا أقصى طاقتهم فى النقد والتمحيص حتى استقام لهم ما استقام من شعر اطمأنوا إلى صحته وفقاً لمنهجهم العلمى فرووه ، ورواه عنهم تلاميذهم ، حتى وصل إلينا منسوباً إليهم ، مرويّاً عنهم .

فحديثنا إذن عن الرواية فى مجموعها ، وأحكامنا على الرواية فى جملتها ، أما أجزاؤها ومفرداتها فلا بد لها من أن تخضع لنقد مفصل ذى شقين : خارجى يبحث فى سند الرواية وتوثيق الرواة ، وداخلى يبحث فى الخصائص الفنية للشاعر ومدى تحققها فى قصائده . فالأصمعى وتلميذه أبو حاتم السجستانى البصريان من جانب ، والمفضل وتلميذاه أبو عمرو الشيبانى وابن الأعرابى الكوفيون من جانب آخر — كلهم ثقات أثبات مأمونون ، مختصون فى موضوعهم ، لهم منهجهم فى النقد والتحقيق والتمحيص ، وروايتهم لديوان امرئ القيس — من أجل ذلك — رواية لها قيمتها العلمية التاريخية . ولو اتفقوا جميعاً على رواية واحدة لأخذنا بها وقبلناها ، ولكن رواياتهم مختلفة ، تتسع رقعة الخلاف حين يكون الرواة

من مدرستين مختلفتين ، وتضيق حين يكونون من مدرسة واحدة . ومن أجل هذا الخلاف كان لا بد لنا من أن نتوقف ونتريث ، ونصطنع لأنفسنا منهجاً كما اصطنعوا ، ونحتكم إلى قاعدة إن لم تنته بنا إلى يقين نقطع به ، فستنتهى بنا إلى شبه يقين نطمئن إليه .

ونحسب أن خير منهج نملك الآن أسبابه — بعد هذه القرون التى باعدت بيننا وبين عصر الشعر الجاهلى وعصر العلماء الذين دونوه ورووه — هو أن نسلّم بصحة ذلك القدر من الشعر الذى اتفق عليه العلماء الرواة جميعهم واشتركوا فى روايته ، وأن نتخذ من هذا القدر المشترك المتفق عليه — أصلاً لديوان الشاعر : ندرسه دراسة دقيقة لنستشف منه روح الشاعر وخصائصه الفنية ، ثم نتخذ من هذا المقياس الفنى الذى نستخرجه محكّاً نعرض عليه القصائد المتفرقة التى انفرد كل راوية عالم بروايتها ، فما استقام منها مع مقياسنا رجحنا صحته وضممناه إلى الديوان ، وما لم يستقم رجحنا أنه مما اختلطت نسبته على ذلك الراوية العالم .

فلو طبقنا هذا المنهج على شعر امرئ القيس لوجدنا أن المفضل الكوفى والأصمعى البصرى قد اتفقا معاً على رواية عشرين قصيدة ومقطعة لامرئ القيس — وهى موضحة فى الثبت الملحق بهذا الفصل ، ثم لوجدنا أيضاً أن هذه القصائد العشرين التى اتفق على روايتها المفضل والأصمعى قد برئت من طعن الرواة الآخرين ، وأن الإجماع بذلك منعقد على صحتها . ومن هنا جاز لنا أن نتخذها أصلاً صحيحاً — أو أقرب ما يكون إلى الصحة — لديوان امرئ القيس ، ثم نعود على هذه القصائد العشرين بالدراسة النقدية لنستخرج منها روح الشاعر وخصائصه الفنية ، ونتخذ من ذلك مقياساً فنيّاً نعرض عليه القصائد السبع التى انفرد بروايتها الأصمعى ، والقصائد العشرين التى انفرد بروايتها المفضل ، والقصائد المتفرقة القليلة التى انفرد بروايتها أبو عبيدة أو أبو عمرو الشيبانى أو ابن الأعرابى ، فما وجدناه منها متفقاً مع مقياسنا رجحنا صحته وأدخلناه فى الديوان ، وإلا شككنا فيه ودفعناه .

قصائد امرئ القيس ومقطعاته

مرتبة كما جاءت فى رواية الأصمعى
ومقارنتها بما فى الروايات الأخرى

١ ـ قِفَانَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ

(١) القصيدة رقم ٣ فى نسخة الطوسى من رواية المفضل الضبى .

(٢) وهى القصيدة الأولى فى نسختى السكرى وابن النحاس .

٢ ـ أَلَا عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِي وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فى العُصُرِ الخالى

(١) القصيدة الثانية فى نسخة الطوسى من رواية المفضل الضبى .

(٢) وهى كذلك الثانية فى نسختى السكرى وابن النحاس .

٣ ـ خَلِيلَيَّ مُرَّا بِى عَلَى أُمِّ جُنْدَبِ نُقَضِّ لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ المُعَذَّبِ

(١) القصيدة الرابعة فى نسخة الطوسى من رواية المفضل .

(٢) القصيدة السادسة فى نسخة السكرى .

(٣) القصيدة السادسة والعشرون فى نسخة ابن النحاس .

٤ ـ سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَمَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوٍّ فَعَرْعَرَا

(١) القصيدة الخامسة فى نسخة الطوسى من رواية المفضل، وفى نسخة السكرى .

(٢) والسادسة عشرة فى نسخة ابن النحاس .

٥ ـ أَعِنِّى عَلَى بَرْقٍ أَرَاهُ وَمِيضِ يُضِيءُ حَبِيًّا فِى شَمَارِيخَ بِيْضِ

(١) فى نسخة الأعلم قبل القصيدة « ويقال إنها لأبى دؤاد الإيادى » ، ونحن نرجح أن هذا ليس من كلام الأصمعى نفسه، وأن الأصمعى لم يكن

يشك فيها ، وإنما نسبها إلى امرئ القيس . وليس فى الروايات والنسخ الأخرى ما يشير إلى شك الأصمعى فيها . فلعل هذا من كلام الأعلم نفسه .

(٢) القصيدة التاسعة فى نسخة الطوسى من رواية المفضل، وفى نسخة السكرى .

(٣) القصيدة التاسعة والثلاثون فى نسخة ابن النحاس .

٦ ـ غَشِيْتُ دِيَارَ الحَيِّ بِالْبَكَرَاتِ فَعَــارِمَةٍ فَبُرْقَةِ العِــيَرَاتِ

(١) القصيدة الثالثة عشرة فى نسخة الطوسى من رواية المفضل .

(٢) القصيدة الثامنة والثلاثون فى نسخة السكرى ، والحادية والثلاثون فى نسخة ابن النحاس .

٧ ـ أَلَا إِنَّ قَوْماً كُنْتُمُ أَمْسِ دُونَهُمْ هُمُ مَنَعُوا جَارَاتِكُمْ آل عَدْوَانِ

(١) لم يروها المفضل ولا أبو عمرو الشيبانى ولا ابن الأعرابى ولم ترد أصلاً فى نسخة الطوسى فكأن الكوفيين كانوا يدفعونها .

(٢) القصيدة الثالثة والخمسون فى نسختى السكرى وابن النحاس .

٨ ـ لِمَنْ طَلَلٌ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِى كَخَطِّ زَبُورٍ فِى عَسِيبِ يَمَانِ

(١) القصيدة السابعة فى نسخة الطوسى من رواية المفضل .

(٢) والثالثة عشرة فى نسخة السكرى ، والخمسون فى نسخة ابن النحاس .

٩ ـ قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ وَرَسْمٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ

(١) القصيدة الثامنة فى نسخة الطوسى من رواية المفضل .

(٢) والحادية عشرة فى نسخة السكرى ، والثانية والخمسون فى نسخة ابن النحاس .

١٠ ـ دَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِى حَجَرَاتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

(١) القصيدة السادسة والثلاثون فى نسخة الطوسى من رواية المفضل .
(٢) والثانية والثلاثون فى نسخة السكرى ، والرابعة فى نسخة ابن النحاس .

١١ـ أَرَانَا مُوْضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ

(١) لم يروها المفضل ولا أبو عمرو الشيبانى ولا ابن الأعرابى وأوردها الطوسى فى نسخته (رقم ٤٥) مما اختاره من رواية الأصمعى ، فكأن الكوفيين كانوا يدفعونها .

(٢) القصيدة الثامنة عشرة فى نسخة السكرى .

(٣) والتاسعة والعشرون فى نسخة ابن النحاس ونص على أن الأصمعى أنشدها عن أبى عمرو بن العلاء .

١٢ـ أَمَاوِيَّ هَلْ لِي عِنْدَكُمْ مِنْ مُعَرَّسِ أَمِ الصَّرْمُ تَخْتَارِينَ بِالْوَصْلِ نَيْأَسِ

(١) لم يروها المفضل ولا أبو عمرو الشيبانى ولا ابن الأعرابى ودفعها الكوفيون ، وقالوا إنها لبشر بن أبى خازم الأسدى ، وقد أوردها الطوسى (رقم ٤٤) مما أختاره من رواية الأصمعى .
(٢) القصيدة السادسة عشرة فى نسخة السكرى ، والسابعة والثلاثون فى نسخة ابن النحاس .

١٣ـ أَلِمَّا عَلَى الرَّبْعِ القَدِيمِ بِعَسْعَسَا كَأَنِّى أُنَادِى أَوْ أُكَلِّمُ أَخْرَسَا

(١) القصيدة رقم ١٤ فى نسخة الطوسى من رواية المفضل ومطلعها عنده :

تَأَوَّبَنِى دَائِى القَدِيمُ فَغَلَّسَا أُحَاذِرُ أَنْ يَرْتَدَّ دَائِى فَأُنْكَسَا

وهو البيت الخامس من القصيدة فى رواية الأصمعى .
(٢) جاءت فى نسختى السكرى وابن النحاس على الرواية الكوفية ، رقم ١٩ فى السكرى ، ورقم ٣٦ فى ابن النحاس .

١٤ـلَعَمْرُكَ مَا قَلْبِي إِلَى أَهْلِهِ بِحرّْ وَلَا مُقْصِرٍ يَوْماً فَيَأْتِينِي بِقرّْ

(١) القصيدة السادسة عشرة فى نسخة الطوسى من رواية المفضل .

(٢) والثامنة فى نسخة السكرى ، والثامنة عشرة فى نسخة ابن النحاس .

١٥ـلِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بِسُحَامِ فَعَمَايَتَيْنِ فَهُضْبِ ذِى إِقْدَامِ

(١) القصيدة الحادية عشرة فى نسخة الطوسى من رواية المفضل .

(٢) والعاشرة فى نسخة السكرى ، والخامسة والأربعون فى نسخة ابن النحاس .

١٦ـيَا دَارَ مَاوِيَّةَ بِالْحَائِلِ فَالسُّهْبِ فَالْخَبْتَيْنِ مِنْ عَاقِلِ

(١) القصيدة الثامنة عشرة فى نسخة الطوسى من رواية المفضل ولم يرو الطوسى منها غير بيتين مطلعهما :

وَهُنَّ أَرْسَالٌ كَمِثْلِ الدَّبَا أَو كَقَطَا كَاظِمَةَ النَّاهِلِ

وقال جامع نسخة الطوسى إن أبا نصر أحمد بن حاتم قال : روى الأصمعى أول هذه الأبيات :

يَا دَار سَلْمَى دارِساً رَسْمُهَا بِالرَّمْلِ فَالْخَبْتَيْنِ مِنْ عَاقِلِ

وهو البيت السابع فى رواية الأصمعى . ومن أجل هذا ذكرها جامع نسخة الطوسى فيما سماه « المنحول الثانى من شعر امرئ القيس » ورقمها فيه ٥٢ ، فكأن الكوفيين كانوا يدفعونها .

(٢) القصيدة الخامسة عشرة فى نسخة السكرى ، والثانية عشرة فى نسخة ابن النحاس .

١٧ـرُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِى ثُعَلٍ مُتْلِجٍ كَفَّيْهِ فِى قُتَرِهْ

(١) القصيدة السابعة عشرة فى نسخة الطوسى من رواية المفضل .
(٢) والسابعة فى نسخة السكرى ، والسابعة عشرة فى نسخة ابن النحاس .

١٨- يَا هِنْدُ لَا تَنْكِحِي بُـوْهَةً عَلَيْـهِ عَقِيقَتُـهُ أَحْسَبَا

(١) لم يروها المفضل ولا أبو عمرو الشيبانى ولا ابن الأعرابى ولم ترد أصلاً فى نسخة الطوسى ، فكأن الكوفيين كانوا يدفعونها . وذكر الآمدى أنها لامرئ القيس بن مالك الحميرى .
(٢) القصيدة السابعة عشرة فى نسخة السكرى .
(٣) والثامنة والعشرون فى نسخة ابن النحاس وذكر فيها « وزعموا أنها منحولة ، ورواها أبو عبيدة » .

١٩- أَلَا قَبَحَ اللهُ البَرَاجِمَ كُلَّهَا وَجَدَّعَ يَرْبُوعاً وَعَفَّرَ دَارِما

(١) القصيدة الأربعون فى نسخة الطوسى من رواية المفضل ، ونص على أن ابن الأعرابى لم يعرفها .
(٢) التاسعة والثلاثون فى نسخة السكرى ، والثامنة والأربعون فى نسخة ابن النحاس .

٢٠- إِنَّ بَنِى عَوْفٍ ابْتَنَوْا حَسَبَا ضَيَّعَهُ الدُّخْلُلُوْنَ إِذْ غَدَرُوا

(١) لم يروها المفضل ولا أبو عمرو الشيبانى ولا ابن الأعرابى ، وذكرها الطوسى فى نسخته رقم (٤٣) فيما اختاره من رواية أبى عبيدة والأصمعى . فكأن الكوفيين كانوا يدفعونها .
(٢) القصيدة الرابعة عشرة فى نسخة السكرى ، والتاسعة عشرة فى نسخة ابن النحاس .

٢١- واللهِ لا يَذْهَبُ شَيْخى بَاطِلَا (رجز)

(١) القصيدة التاسعة والعشرون فى نسخة الطوسى من رواية المفضل، ومطلعها عنده : « يا لهف هند إذ خطئن كاهلا » وهو البيت الخامس فى رواية الأصمعى .

(٢) القصيدة الخامسة والعشرون فى نسخة السكرى ، والحادية عشرة فى نسخة ابن النحاس ، وهما يوردان مطلعها كما فى الرواية الكوفية .

٢٢ ـ أَلَا يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِثْرَ قَوْمٍ هُمُ كَانُوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا

(١) القصيدة التاسعة عشرة فى نسخة الطوسى من رواية المفضل .

(٢) والسادسة والعشرون فى نسخة السكرى ، والسابعة والعشرون فى نسخة ابن النحاس، وقال « رواها الأصمعى وأبو عبيدة » .

٢٣ ـ كَأَنِّى إِذْ نَزَلْتُ عَلَى المُعَلَّى نَزَلْتُ عَلَى البَوَاذِخِ مِنْ شَمَامِ

(١) القصيدة الثانية والثلاثون فى نسخة الطوسى من رواية المفضل .

(٢) والتاسعة والعشرون فى نسخة السكرى .

(٣) لم يوردها ابن النحاس فى نسخته .

٢٤ ـ لَنِعْمَ الفَتَى تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ طَرِيفُ بْنُ مَال لَيْلَةَ الجُوعِ وَالخَصَرْ

(١) القصيدة الخامسة والثلاثون فى نسخة الطوسى من رواية المفضل .

(٢) القصيدة الثلاثون فى نسخة السكرى ، والعشرون فى نسخة ابن النحاس .

٢٥ ـ أَبَعْدَ الحَارِثِ المَلِكِ بنِ عَمْرٍو لَهُ مُلْكُ العِرَاقِ إِلَى عُمَانِ

(١) القصيدة الرابعة والثلاثون فى نسخة الطوسى من رواية المفضل .

(٢) والسادسة والثلاثون فى نسخة السكرى، والرابعة والخمسون فى نسخة ابن النحاس .

٢٦ ـ دِيمَة هَطْلَاءُ فِيهَا وطَفٌ   طَبَقُ الأَرْضِ تَحَرَّى وَتَدُرّ

(١) رواها الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء عن ذى الرمة .
(٢) القصيدة الثالثة والثلاثون فى نسخة الطوسى من رواية المفضل .
(٣) والرابعة فى نسخة السكرى ، والخامسة عشرة فى نسخة ابن النحاس .

٢٧ ـ أَحَارِ تَرَى بُرَيْقاً هَبَّ وَهْنَا   . . . .

(١) أنصاف أبيات لامرئ القيس أكمل أعجازها التوءم اليشكرى فى منازعتهما الشعر ؛ وقد رواها الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء .
(٢) لم يروها المفضل ، ولا أبو عمرو الشيبانى ، ولا ابن الأعرابى ، ولم ترد أصلا فى نسخة الطوسى ، فكأن الكوفيين كانوا يدفعونها .
(٣) القصيدة الثانية عشرة فى نسخة السكرى ، والثالثة والعشرون فى نسخة ابن النحاس .

قصائد امرئ القيس ومقطعاته
من رواية المفضل

مرت بنا ـ فى رواية الأصمعى ـ جملة قصائد مما رواه المفضل لامرئ القيس ، فهى بذلك مما اتفق الشيخان : الأصمعى البصرى ، والمفضل الكوفى ، على روايتها وصحة نسبتها . وهى : القصائد الست الأولى ، ثم الثامنة ، والتاسعة ، والعاشرة ، ثم الثالثة عشرة ، والرابعة عشرة ، والخامسة عشرة ، ثم السابعة عشرة ، ثم التاسعة عشرة ، ثم من القصيدة الحادية والعشرين إلى القصيدة السادسة والعشرين . وبذلك يكون ما اتفق الشيخان على روايته عشرين قصيدة ومقطعة لامرئ القيس . ونذكر الآن سائر رواية المفضل من القصائد التى لم يوردها الأصمعى فى روايته ، وهى :

١ ـ أَحَارِ بن عَمْرٍو كَأَنِّى خَمِرْ   وَيَعْدُو عَلَى المَرْءِ مَا يَأْتَمِرْ

(١) رواها المفضل وأبو عمرو الشيبانى ، أما الأصمعى فقد أنكر نسبتها لامرئ القيس ، وقال : أنشدنيها أبو عمرو بن العلاء لرجل من النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جشم . وأولها عن الأصمعى :

لَا وأَبِيكِ ابْنَةَ العامِرِ يّ لاَ يَدَّعِي القَوْمُ أَنى أَفِرّْ

(٢) اختارها الأعلم فيما اختاره من رواية المفضل وأبى عمرو ، وهى القصيدة التاسعة والعشرون فى نسخته. وأوردها الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب فى نسخته لديوان امرئ القيس وهى أول ما أورده له .

(٣) القصيدة الثالثة فى نسخة السكرى ، ومطلعها عنده من رواية الأصمعى ، والقصيدة الرابعة عشرة فى نسخة ابن النحاس .

٢ ـ أَلاَ انعَمْ صَباحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ وَانْطِق
وَحَدِّثْ حَدِيثَ الرَّكْبِ إنْ شِئْتَ فَاصْدُقِ

(١) اختارها الأعلم فيما اختار من رواية المفضل وأبى عمرو ، وهى القصيدة الثلاثون فى نسخته .

(٢) القصيدة الثانية والأربعون فى نسخة السكرى ، والثالثة والأربعون فى نسخة ابن النحاس .

٣ ـ أَمِن ذِكْـرِ سَلْمَى أَنْ نَأَتْكَ تَنُوصُ
فَتَقْصُرُ عَنْهَـا خُطْوَةً أَو تَبُوصُ

(١) اختارها الأعلم فيما اختار من رواية المفضل وأبى عمرو ، ورقمها فى نسخته الحادية والثلاثون .

(٢) القصيدة الثامنة والأربعون فى نسخة السكرى ، والأربعون فى نسخة ابن النحاس .

٤ ـ تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْإِثْمِدِ وَنَامَ الخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقَدِ

(١) اختارها الأعلم فيما اختار من رواية المفضل وأبي عمرو، وهي القصيدة الثانية والثلاثون فى نسخته .

(٢) القصيدة التاسعة والأربعون فى نسخة السكرى ، والثالثة والثلاثون فى نسخة ابن النحاس .

٥ ـ عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سِجَالُ كَأَنَّ شَأْنَيْهِمَا أَوْشَالُ

(١) القصيدة الواحدة والأربعون فى نسخة السكرى ، والسابعة فى نسخة ابن النحاس وقد نص على أن الأصمعى لم يعرفها .

٦ ـ لَا تُسْلِمَنِّى يَا رَبِيعُ لِهَذِهِ وَكُنْتُ أُرَانِى قَبْلَهَا بِكَ وَاثِقَا

(١) القصيدة السابعة والأربعون فى نسخة السكرى ، والرابعة والأربعون فى نسخة ابن النحاس .

٧ ـ يَا ثُعَلاً وَأَيْنَ مِنِّى بَنُو ثُعَلْ أَلَا حَبَّذَا قَوْمٌ يَحِلُّونَ بِالْجَبَلْ

(١) القصيدة الرابعة والثلاثون فى نسخة السكرى، والسادسة فى نسخة ابن النحاس .

٨ ـ أَحْلَلْتُ رَحْلِى فِى بَنِى ثُعَلٍ إِنَّ الكِرَامَ لِلْكَرِيمِ مَحَلُّ

(١) القصيدة الثالثة والثلاثون فى نسخة السكرى ، والخامسة فى ابن النحاس .

٩ ـ أَلَا يَا عَيْنُ بَكِّى لِى شَنِينَا وَبَكِّى لِى المُلُوكَ الذَّاهِبِينَا

(١) القصيدة الواحدة والخمسون فى نسخة السكرى، والخامسة والخمسون فى ابن النحاس .

١٠ ـ عَفَا شَطِبٌ مِنْ أَهْلِهِ وَغُرُورُ فَمَرْبُولَةٌ إِنَّ الدِّيَارَ تَدُورُ

(١) القصيدة الخامسة والخمسون فى نسخة السكرى ، ولم يوردها ابن النحاس فى نسخته .

١١ ـ إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَى كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا العِصِىُّ

(١) أوردها الطوسى (رقم ٢٢) فى نسخته فيما أورده من رواية الأصمعى ، غير أنه قال : « كان الأصمعى يقول : امرؤ القيس ملك ولا أراه يقول هذا » فكأن الأصمعى أنكرها . وأوردها كذلك الوزير أبو بكر فى نسخته ص ١٦٥ ولكنه قال : « قال الأصمعى : امرؤ القيس لا يقول مثل هذا وأحسبه للحطيئة » . ومن أجل هذا أسقطناها من رواية الأصمعى .

(٢) القصيدة الخامسة والثلاثون فى نسخة السكرى ، والسادسة والخمسون فى نسخة ابن النحاس .

١٢ ـ أَبَعْدَ زُبْدَانَ أَمْسَى قَرْقَرًا جَلَدًا وَكَانَ مِنْ جَنْدَلٍ أَصَمَّ مَنْضُودَا

(١) القصيدة الستون فى نسخة السكرى ، ولم يوردها ابن النحاس فى نسخته .

١٣ ـ تَنَكَّرَتْ لَيْلَى عَنِ الْوَصْلِ وَنَأَتْ وَرَثَّ مَعَاقِدُ الحَبْلِ

(١) القصيدة الخامسة والأربعون فى نسخة السكرى .

(٢) والتاسعة فى نسخة ابن النحاس ، وذكر فيها « قال ابن دريد : دفعها الأصمعى ، ورواها قوم لابن أحمر ، وهى فى أصل اليزيدى » .

١٤ ـ أَرَى نَاقَةَ القَيْسِ قَدْ أَصْبَحَتْ عَلَى الأَيْنِ ذَاتَ هِبَابٍ نَوَارَا

(١) القصيدة الرابعة والأربعون فى نسخة السكرى ، والخامسة والعشرون فى نسخة ابن النحاس .

١٥ ـ ولَقَدْ بَعَثْتُ العَنْسَ ثُمَّ زَجَرْتُهَا وَهْناً وَقُلْتُ عَلَيْكِ خَيْرَ مَعَدَّ

(١) القصيدة الثانية والثلاثون فى نسخة ابن النحاس، ولم يوردها السكرى.

١٦ ـ أنى عَلَى اسْتَتَبٍّ لَوْمُكُمَا وَلَمْ تَلُومَا حُجْرًا وَلَا عُصُمَا

(١) القصيدة السابعة والثلاثون فى نسخة السكرى ، والسادسة والأربعون فى نسخة ابن النحاس .

١٧ ـ لَعَمْرِى لَقَدْ بَانَتْ بِحَاجَةِ ذِى هَوًى
سُعَادُ وَرَاعَتْ بِالْفِرَاقِ مُرَوَّعَا

(١) القصيدة الخمسون فى نسخة السكرى ، والحادية والأربعون فى نسخة ابن النحاس .

١٨ ـ أَبْلِغْ شِهَاباً وَأَبْلِغْ عَاصِماً وَمَالِكاً هَلْ أَتَاكَ الخبْرُ مَالِ

(١) القصيدة الثالثة والأربعون فى نسخة السكرى ، والثامنة فى نسخة ابن النحاس ، ووزن هذه الأبيات مختلط ، ويختلف فى النسخ المختلفة .

١٩ ـ أَلَا أَبْلِغْ بَنِى حُجْرِ بنِ عَمْرٍو وَأَبْلِغْ ذلك الحَىَّ الحَرِيدَا

(١) القصيدة السادسة والخمسون فى نسخة السكرى، والرابعة والثلاثون فى نسخة ابن النحاس .

٢٠ ـ قَدْ أَتَانِى عَنْ مَرِىء مَأْلُكٌ لابنة الحصاء أن هبها فجد

(١) آخر رواية المفضل . وقد قال الطوسى عن هذه القصيدة « لم يروها ابن الأعرابى » فكأنها من القصائد التى أسقطها ابن الأعرابى حينما كان يصحح رواية شيخه المفضل .

(٢) لم ترد فى نسخة السكرى ، ولا فى نسخة ابن النحاس .

• • •

وبذلك تكون قصائد امرئ القيس ومقطعاته فى رواية المفضل بن محمد الضبى ــ الكوفى ــ أربعين قصيدة ومقطعة ، اتفق هو والأصمعى على رواية عشرين منها ، وانفرد برواية العشرين الأخرى .

٣

وقد كفانا مؤونة تفصيل الحديث عن سائر دواوين الجاهلية ما قدمناه من حديث عن ديوان امرئ القيس ، حيث فصلنا القول تفصيلاً يكشف عن المنهج الذى نرى أن ينهج فى تتبع روايات هذه الدواوين الجاهلية ، وإرجاعها إلى أصولها ، وتفسير ما فى رواياتها من اختلاف .

أما ديوان زهير بن أبى سلمى فلا تذكر لنا المصادر العربية ــ من العلماء الذين جمعوا هذا الديوان ــ غير ستة ، هم :

١ ــ يعقوب بن إسحق السكّيت [١] .

٢ ــ أبو الحسن على بن عبد الله بن سنان الطوسى [٢] .

٣ ــ محمد بن هبيرة الأسدى المعروف بصعوداء [٣] .

٤ ــ أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى [٤] .

٥ ــ أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى [٥] .

٦ ــ يوسف بن سليمان ، الأعلم الشنتمرى [٦] .

والعجيب أنه ليس من بين هذه الأسماء عالم واحد من رواة الطبقة الأولى

---

(١) ابن النديم : ٢٢٤ .

(٢) المصدر السابق : ٢٢٤ .

(٣) البغدادى ، الخزانة ٣ : ٣ .

(٤) ابن النديم : ١١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ؛ ــ ونزهة الألباء : ١٤٥ ، وإنباه الرواة ١ : ٢٩٣ .

(٥) ابن النديم : ١١٢ ، وياقوت ، إرشاد ١٩ : ٣١٣ .

(٦) الخزانة ٣ : ٢ .

ممن يعدُّون أصولاً ، وإنما هم جميعاً إما من تلاميذ هذه الطبقة : مثل ابن السكيت — وهو كوفى المذهب أخذ عن أبى عمرو الشيبانى والفراء وابن الأعرابى ، وإما من الجُمَّاع الذين جمعوا بين الروايات المختلفة ، فرجحوا كفة الكوفيين حيناً مثل : صعوداء والطوسى وابن الأنبارى ، أو رجحوا كفة البصريين حيناً آخر مثل : السكرى والأعلم .

فأين إذن روايات ديوان زهير التى تعد أصولاً ؟ لقد أغفلت ذكرها المصادر العربية ؛ ولكنها بقيت ، مع ذلك ، فيما وصل إلينا من نسخ هذا الديوان ، أو فيما تضمنته هذه النسخ من إشارات للرواة والروايات . وهذه الأصول لديوان زهير — كما كانت أصول ديوان امرئ القيس — قسمان : أصول بصرية ، وأصول كوفية .

الأصول البصرية :

وهى أصلان : رواية أبى عبيدة معمر بن المثنى التيمى ، ورواية أبى سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى .

٧ — رواية أبى عبيدة :

أما رواية أبى عبيدة فلم تُحفظ لنا كاملة ، ولم يبق لنا منها إلا قصائد متفرقة ذُكر فى مقدمتها أنها من رواية أبى عبيدة ، أو ألفاظ فى أبيات من قصائد أشير فيها إلى رواية أبى عبيدة كما أشير فيها إلى رواية غيره من العلماء . فقد ذكر الأعلم عند حديثه عن قصيدة زهير :

أَبْلِغْ بَنِى نَوْفَلٍ عَنِّى فَقَدْ بَلَغُوا ... مِنِّى الحَفِيظَةَ لَمَّا جَاءنِى الخَبَرُ

أن أبا حاتم قال « لم يعرفها الأصمعى ، وعرفها أبو عبيدة » . وكذلك ذكر عند حديثه عن قصيدته :

أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِى الصَّيْدَاءِ كُلَّهُمُ ... أَنَّ يَسَارًا أَتَانَا غَيْرَ مَغْلُولِ

أن أبا حاتم قال: « لم يعرفها الأصمعي ،وعرفها أبو عبيدة ». وذكر ثعلب عند حديثه عن قصيدته :

شَطَّتْ أُمَيْمَةُ بَعْدَمَا صَقَبَتْ وَنَأَتْ وَمَا فَنِيَ الجِنَابُ فَيَذْهَبُ

أنه « لم يروها أبو عمرو لزهير ولا لكعب ، ورواها أبو عبيدة لزهير »[1] . وذكر عند حديثه عن قصيدته :

فَعَدَّ عَمًّا تَرَى إِذْ فَاتَ مَطْلَبُهُ أَضْحَى بِذَاكَ غُرَابُ البَيْنِ قَدْ نَعَقَا

أن هذه الأبيات لم يملها أبو عمرو ولا أبو نصر ، ولم يعرفها الأصمعي ، ولكن « رواها أبو عبيدة وهي صحيحة عنده »[2] . وأنكر أبو عبيدة قصيدة زهير :

إِنَّ الرَّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا مَا تَبْتَغِي غَطَفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتِ

وقال إنها لقُرَاد بن حنش من شعراء غطفان ،وأن زهيراً ادعى هذه الأبيات[3].

أما روايات أبي عبيدة لبعض الألفاظ في أبيات من قصائد زهير فكثيرة جداً وقد أشار إليها الأعلم وثعلب في مواطن كثيرة من شرحيهما .

٨ ــ رواية الأصمعي :

أما رواية الأصمعي فقد حُفظت لنا كاملة ، حفظها الأعلم الشنتمري في مجموعته « دواوين الشعراء الستة »[4] . وقد مر بنا أن الأعلم ذكر في مقدمة

---

(١) شرح ديوان زهير (ط . دار الكتب) ص : ٣٦٨ .

(٢) معهد إحياء المخطوطات العربية، فيلم ٨٢٢، ورقة : ١٣٣ . انظر ديوان زهير (دار الكتب) : ٤١ .

(٣) ابن سلام ، طبقات الشعراء : ٥٦٨ .

(٤) طبع ديوان زهير – من نسخة الأعلم – ثلاث طبعات ، الأولى : ضمن كتاب العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهلية، تحقيق أهلوارد ط . لندن سنة ١٨٧٠، وهو شعر مجرد من غير شرح . والثانية : أصدرها لاندبرج G. Landberg وهي « الطرفة الثانية » من سلسلة=

مجموعته أنه اعتمد – فى نسخته لدواوين هؤلاء الشعراء – على أصح رواياتها ، وهى رواية الأصمعى ، قال : « واعتمدت فيما جلبته من هذه الأشعار على أصح رواياتها ، وأوضح طرقاتها ، وهى رواية عبد الملك بن قريب الأصمعى ، لتواطؤ الناس عليها ، واعتيادهم لها ، واتفاق الجمهور على تفضيلها ؛ وأتبعت ما صح من رواياته قصائد متخيرة من رواية غيره . . » ومن عادة الأعلم فى مجموعته هذه أنه يستوفى رواية الأصمعى كاملة فى كل ديوان من هذه الدواوين ، ثم يتبعها بقصائد مختارة للشاعر يختارها من غير رواية الأصمعى ، ثم ينص على هذه المختارات من رواية الكوفيين وخاصة المفضل وأبا عمرو الشيبانى .

وعلى هذا الأساس الواضح أورد الأعلم ثمانى عشرة قصيدة ومقطعة لزهير ثم ذكر فى ختامها ما يلى[1] : « كمل جميع ما رواه الأصمعى من شعر زهير ، ونصل به بعض ما رواه غيره إن شاء الله » . ثم يورد قصيدتين ذكر أنهما مما رواه أبو عمرو والمفضل ، ويختم نسخته بقوله [2] : « كمل جميع شعر زهير مما رواه الأصمعى وأبو عمرو والمفضل.. ». وسنورد مطالع هذه القصائد فى ثبت نلحقه بهذا الحديث.

غير أن الأعلم قد أورد – فيما أورده من رواية الأصمعى لشعر زهير – ثلاث قصائد ليست من رواية الأصمعى ،وقد نص فى الأولَيَيْن منها– وقد مر ذكرهما قبل قليل – على أن أبا حاتم السجستانى قال : « لم يعرفها الأصمعى وعرفها أبو عبيدة » . وذكر فى حديثه عن القصيدة الثالثة ، وهى :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هَلْ يَرَى النَّاسُ مَا أَرَى
مِنَ الأَمْرِ أَوْ يَبْدُو لَهُمْ مَا بَدَا لِيَا

= طرف عربية »، ط . ليدن سنة ١٨٨٩ وفيها شرح الأعلم.والثالثة: طبعت بالمطبعة الحميدية بمصر سنة ١٣٢٣ هـ ؛وفيها شرح الأعلم كذلك. أما نسخة الأعلم من مجموعة الدواوين الستة الكاملة، فقد ذكرنا عند حديثنا عنها قبل صفحات أن منها مخطوطتين فى دار الكتب المصرية برقم ٥٠٤ تيمور ،و ٨١ ش – وذلك غير النسخ التى ذكرها أهلوارد فى طبعته وأشرنا إليها فى حديثنا عن ديوان امرئ القيس .

(١) شرح ديوان زهير للأعلم . المطبعة الحميدية سنة ١٣٢٣ هـ ، ص : ٩٠ .
(٢) المصدر السابق : ٩٨ .

أن الأصمعى قال[١]: « ليست لزهير ، ويقال : هى لصرمة الأنصارى ولا تشبه كلام زهير . » فإذا كانت هذه القصيدة الثالثة من رواية أبى عبيدة أيضاً ، جاز لنا أن نفرض أن الأعلم قد أورد فى القسم الأول من نسخته ما صح من رواية شيخى البصرة : الأصمعى وأبى عبيدة ، وإن كان قد جعل جُلّ اعتماده على رواية الأصمعى . وسنعود إلى الحديث عن رواية الأصمعى بعد أن نستوفى حديثنا عن الأصول الكوفية .

الأصول الكوفية :

٩ ــ ١١ ــ أما علماء الكوفة من الطبقة الأولى من الرواة الذين رووا ديوان زهير فهم : حماد الراوية ، والمفضل بن محمد الضبى ، وأبو عمرو الشيبانى . غير أن روايات هؤلاء العلماء لم تصلنا منفردة ، مستقلة ، بل جاءتنا مختلطة متداخلة فى مجموعة نُسبت مع شرح أبياتها إلى ثعلب ، وقد طبعت هذه المجموعة من الروايات بدار الكتب المصرية ، وفى مقدمتها حديث مفصل عن ترجيح نسبتها إلى أبى العباس ثعلب . وقد اعتمدت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية ذكرت أوصافها وأرقامها فى مقدمتها . ودراسة هذه الطبعة تدلنا على أن ثعلباً قد جمع فى مجموعته بين الروايات الكوفية والروايات البصرية ، فكثيراً ما يورد فى شرحه شروحاً للأصمعى وأبى عبيدة ، وكثيراً ما يورد رواياتهما المختلفة فى الألفاظ والأبيات ، وحسبنا أمثلة قليلة على ذلك : فقد أورد سبعة وثلاثين بيتاً من قصيدة زهير :

صَحَا القَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهْ وَعُرِّىَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ

ثم قال[٢]: « وهذه آخر رواية أبى عمرو ، وروى أبو عبيدة والأصمعى . . »

---

(١) شرح ديوان زهير للأعلم : ٨٦ .

(٢) ص: ١٤٢ .

ثم يورد سبعة أبيات من روايتهما . أما فى قصيدته :

إنَّ الخَلِيطَ أَجَدَّ البَيْنَ فَانْفَرَقا وَعُلِّقَ القَلْبُ مِنْ أَسْمَاءَ مَا عَلِقَا

فهو يثبت فى أصل أحد أبياتها وهو قوله :

وَقَابِلٌ يَتَغَنَّى كُلَّما قَدَرَتْ عَلَى العَرَاقِى يَدَاهُ قَائِماً دَفَقَا

رواية أبو عبيدة، وينص على ذلك بقوله[1] : « روى أبو عبيدة قائماً بالنصب، وروى غيره بالرفع » .

ثم يذكر بيت زهير[2] :

وذاك أَحْزَمُهُم رأياً إذا نبَأَ من الحوادث آبَ النَّاس أو طَرَقا

وهو من غير رواية أبى عمرو ، ثم ينص على أن البيت فى رواية أبى عمرو هو :

وَمَن يَفُوقهمُ أمرًا إذا فَرِقُوا من الحوادثِ أمرًا آبَ أو طَرَقا

ثم يورد ستة أبيات ينص على أنها من رواية أبى عمرو[3] ، وأربعة أبيات أخرى ينص على أنها مما روى أبو عمرو والأصمعى[4] ، ويورد فى آخرها بيتين يذكر أنهما « من غير هذه الرواية » و « أن الأصمعى لم يروهما »[5] . وكذلك ذكر ستة عشر بيتاً من قصيدة زهير :

لِمَنِ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرِ

ثم يقول[6] : « هذا آخر رواية أبى عمرو » ، ويكمل القصيدة فى اثنين وعشرين

---

(١) ص : ٤٠ .
(٢) ص : ٤٨ .
(٣) ص : ٤٩ — ٥٢ .
(٤) ص : ٥٣ — ٥٤ .
(٥) ص : ٥٥ .
(٦) ص : ٩٤ .

بيتاً من غير رواية أبي عمرو . وكثيراً ما يثبت في أصل البيت لفظة أو ألفاظاً من غير رواية أبي عمرو ، وينص على ذلك، ثم يذكر روايته في تلك الألفاظ [١]. وأكثر من ذلك أنه يورد قصيدة « لم يروها أبو عمرو لزهير ولا لكعب ، ورواها أبو عبيدة لزهير » [٢] .

فيتضح لنا من كل ذلك أن هذه النسخة قد جمعت من قصائد زهير ما رواه البصريون وما رواه الكوفيون . غير أن هذا الجمع بين روايات المدرستين لا ينفي نسبة هذه النسخة إلى أبي العباس ثعلب . وذلك أن ثعلباً — مع أنه كان كوفي المذهب بل إمام أهل الكوفة في زمنه — قد روى كتب علماء البصرة أيضاً ، فروى « عن ابن نجدة كتب أبي زيد ، وعن الأثرم كتب أبي عبيدة ، وعن أبي نصر كتب الأصمعي . . » [٣] وقد ذكر أبا نصر والأثرم في مواطن كثيرة من نسخته هذه [٤] .

وقد تضمنت هذه النسخة ثلاثاً وخمسين قصيدة ومقطعة لزهير ، روى خمساً منها عن حماد الراوية [٥] ؛ ونص على واحدة منها بقوله: « وهي متهمة عند المفضل » ومع ذلك رواها أبو عمرو [٦] . وذكر في أربع أخر منها أنها يُشَكُّ في نسبتها إلى زهير ، وأنها قد تروى لغيره [٧] .

ويبدو أن هذه النسخة — بالرغم من جمعها بين روايات مختلفة — قد اتخذت من رواية أبي عمرو الشيباني أصلاً ، ثم أضاف جامع هذه النسخة عليها

---

(١) انظر مثلا ص : ٧٠ — ٧١ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٢٥ ، ١٢٩ .
(٢) ص : ٣٦٩ .
(٣) ياقوت ، إرشاد ٥ : ١١٩ .
(٤) انظر مثلا ص : ٨١ ، ١٢٣ ، ١٧٢ ، ٢٣٥ ، ٣٠٩ ، ٣٢٩ ، ٣٥٠ .
(٥) ص : ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٢٨٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٧ .
(٦) ص : ٢٦٥ .
(٧) ص : ٢٥٣ ، ٢٨٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦٩ .

ما وجده عند غيره من تعليقات أو اختلاف فى روايات الألفاظ . وقد جعلنا نذهب إلى هذا الافتراض أننا عثرنا على نسخة مصورة على ميكروفيلم فى معهد إحياء المخطوطات العربية — وأصلها محفوظ فى مكتبة نور عثمانية بتركيا [1] — وقد نص فى آخر هذه النسخة على ما يلى :

« فهذا جميع ما رواه أبو عمرو ، وأبو نصر ، والأصمعى ، لزهير من الشعر . . . وكتب محمد بن منصور بن مسلم رحمه الله بمنبج سنة خمسة (كذا) وسبعين وخمسمائة ، والأصل الذى نقله منه كتب من أصل ابن كيسان النحوى رحمه الله فى سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، وكان قد قرأ جميعه على أحمد بن يحيى ثعلب ، وكان قد قرئ على أبى عمرو الشيبانى . . . » وفى هذه النسخة سبع وخمسون قصيدة ، خمس منها غير موجودة فى النسخة المطبوعة ، وتمتاز هذه النسخة — على النسخة المطبوعة — بكثرة ما فيها من إشارات إلى الشك فى صحة نسبة بعض القصائد إلى زهير . فقد ذكر قصيدته :

أَنَوَيْتَ أَمْ أَجْمَعْتَ أَنَّكَ غَادِ وَعَدَاكَ عَنْ لُطْفِ السُّؤَالِ عوَادِ

وقال : « أبو عمرو لم يرو هذه القصيدة وقال إنها لكعب ابنه » . مع أن هذه التعليقة غير مذكورة فى المطبوعة . وذكر كذلك قصيدته :

أَلاَ أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِى سُبَيْعٍ وأَيَّامُ النَّوائبِ قَدْ تَدُورُ

وقال : إن أبا عمرو قال : « هذه لرجل من بنى عبد الله بن غطفان » . وليست هذه التعليقة فى المطبوعة .

وذكر قصيدته :

وَخَالِى الجَبَا أَوْرَدْتُهُ القَوْمَ فاستَقَوْا بِسُفْرَتِهِمْ من آجِنِ الماء أَصْفَرا [2]

---

(١) فيلم رقم : ٨٢٢ .

(٢) مطلعها فى ديوان كعب المطبوع ص : ١٢٢ :

أَبَتْ ذِكْرَةٌ منْ حُبِّ لَيْلَى تَعُودُنِى عِيادَ أَخِى الحُمَّى إذا قلتُ أَقْصَرَا

وقال: « قال أبو عمرو الشيبانى : هذه لكعب ابنه » . وليست فى المطبوعة أيضاً .

وذكر مقطعته :

أَرَادَتْ جَوازًا بالرَّسِيْس فَصَدَّها رِجَالٌ قُعُودٌ فى الدُّجَى بِالْمَعَابِلِ

وقال : « ويروى أنها لكعب بن زهير ، وهى فى شعره طويلة » . وليست هذه التعليقة فى المطبوعة .

وذكر قصيدته :

هل تُبْلِغَنِّى إلى الأَخْبارِ نَاجِيَةٌ تَخْدِى كَوَخْدِ ظَلِيمٍ خاضِبٍ زَعِرِ

وقال: « ويقال هى منحولة » .

وذكر قصيدته :

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمِ قَعَدُوا[1]

وقال: « ولم يملها أبو نصر ، ويقال هى لأبى الجويرية العبدى ، وهى فى شعره طويلة » .

وذكر قوله :

هاج الفُؤَادَ مَعارِفُ الرَّسْمِ قَفْرٌ بِذِى الهَضَباتِ كَالْوَشْمِ

وقال: « ولم يملها أبو نصر . قال أبو عمرو الشيبانى : هى لأوس بن أبى سلمى » .

وجميع هذه التعليقات ، زيادة فى هذه النسخة ، غير مذكورة فى النسخة المطبوعة . أما التعليقات المذكورة فى المطبوعة فموجودة أيضاً فى هذه النسخة . فإذا أضفنا هذه القصائد التى نص على الشك فى صحة نسبتها لزهير — وهى سبع — إلى القصائد الخمس التى نص فى المطبوعة على هذا الشك فيها ، كان مجموع هذه

---

(١) مطلعها فى المطبوعة :

هَلْ فِى تَذَكُّرِ أَيَّامِ الصِّبَـا فَنَدُ أَمْ هَلْ لِمَا فَاتَ مِنْ أَيَّامِهِ رِدَدُ

القصائد المشكوك فيها اثنتى عشرة قصيدة من ثلاث وخمسين . وبذلك تكون رواية الكوفيين — فى مجموعها — لقصائد زهير إحدى وأربعين قصيدة ومقطعة ، وهى تتضمن القصائد التى أوردها الأعلم من رواية الأصمعى وأبى عبيدة ، والقصيدتين اللتين اختارهما من رواية أبى عمرو والمفضل .

* * *

فإذا عدنا إلى الحديث عن رواية الأصمعى ، وجدنا أنها خمس عشرة قصيدة ومقطعة فقط ، وذلك أن الأعلم قد أورد — كما مر بنا ، وكما سيمر بعد قليل — ثمانى عشرة قصيدة ذكر فى ختامها أنها رواية الأصمعى ، ولكن الأعلم ذكر — فى معرض حديثه عن ثلاث من هذه القصائد — أن الأصمعى لم يعرفها وأنه أسقطها من روايته . وبذلك يكون ما صححه الأصمعى ، فى روايته ، من شعر زهير خمس عشرة قصيدة ومقطعة . وقد وجدنا أن هذه القصائد الخمس عشرة كلها مضمنة فى القصائد التى رواها علماء الكوفة لزهير ، وأن أحداً من العلماء لم يطعن عليها فى صحة نسبتها بشىء ، وإن كان ثمة خلاف فى نسبة أبيات قليلة من بعض هذه القصائد . وبذلك نستطيع أن نطمئن إلى أن هذه القصائد الخمس عشرة هى التى أجمع الرواة ، من البصريين والكوفيين ، على صحة نسبتها لزهير ، فنتخذها أصلاً صحيحاً لديوانه ، ندرسها دراسة فنية تكشف خصائصها وتبين ما فيها من عناصر شخصية الشاعر ، لنتخذ من كل ذلك مقياساً فنياً نحتكم إليه فى القصائد الأخرى التى رواها الكوفيون ، فما انطبق منها على هذا المقياس رجحنا صحة نسبته إلى زهير وضممناه إلى ديوانه ، وما لم يستقم منها مع هذا المقياس رجحنا أنه مما نسب خطأ إلى زهير أو وضع عليه .

فإذا ما بحثنا عن الجذور الأولى لديوان زهير ، وجدناها جذوراً عميقة تضرب فى القدم حتى لتكاد تتصل بزهير نفسه ، ثم تمتد منه خلال القرن الأول حتى تتصل — فى مطلع القرن الثانى — بأبى عمرو بن العلاء ، وبحماد الراوية ، ثم من

بعدهما بالأصمعى ، وسائر علماء البصرة والكوفة . فقد ذكر السكرى [١] أن ديوانى زهير وكعب كانا عند بنى غطفان ، فكانوا يحفظون شعرهما ، وذلك لأن زهيراً وابنه كعباً كانا مقيمين فى بنى عبد الله بن غطفان . وكان عمر بن الخطاب يقدم زهيراً ويفضله ، وقد حكم على شعره حكماً يدل على معرفة به ودراسة له ، قال [٢] : « كان لا يعاظل بين الكلام ، ولا يتتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه » . وكان يحب أن يسمع شعره ، واستنشد ليلةً ابنَ عباس شعر زهير فأنشده حتى برق الفجر [٣] ؛ وكان جرير أيضاً يقدم زهيراً ويفضله وقال عنه إنه أشعر أهل الجاهلية [٤] . ولا تعنينا هذه الأحكام إلا من حيث دلالتها على معرفة القوم آنذاك بشعر زهير معرفة تتيح لهم الحكم عليه .

وقد مر بنا كذلك أن الحطيئة كان راوية زهير ، وأن الشعر اتصل فى ابنه كعب بن زهير ، وابن كعب : عقبة المضرّب ، وابن ابنه : العوام بن عقبة ، حتى لقد قرأ أبو عمرو الشيبانى شعر زهير أو بعضه على بعض بنى زهير [٥] ، وحتى لقد روى التبريزى قصيدة كعب : « بانت سعاد » من طريق أحد أبنائه سنداً ، وهو : الحجاج بن ذى الرقيبة بن عبد الرحمن بن عقبة بن كعب بن زهير .

وكان ممن درس شعر زهير ودرّسه منذ مطلع القرن الثانى : أبو عمرو بن العلاء ، قال المازنى [٦] : « قال لى أبو زيد : قرأت هذه القصيدة — يعنى معلقة زهير — على أبى عمرو بن العلاء ، فقال لى : قرأت هذه القصيدة منذ خمسين ،

---

(١) أشار إلى ذلك كرنكو Krenko فى مقاله عن « استعمال الكتابة فى حفظ الشعر العربى القديم » ص ٢٦٦ ، ولم يشر إلى مصدره ، ولم نجد هذا النص فيما بين أيدينا من مصادر ، فلعل كرنكو اطلع عليه فى إحدى مخطوطات ديوان زهير أو كعب التى كانت بين يديه .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٥٢ .

(٣) الأغانى ١٠ : ٢٩١ .

(٤) المصدر السابق ١٠ : ٢٨٩ .

(٥) مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية فيلم رقم ٨٢٢ ، فى معرض الحديث عن البيت الأول من المعلقة ، وانظر أيضاً الأغانى ١٠ : ٢٨٧ .

(٦) التبريزى ، شرح المعلقات : ١٢٦ ، وانظر كذلك شرح ديوان زهير لثعلب : ٣٢ .

سنة فلم أسمع هذا البيت إلا منك » — يعنى بيته :

وَمَنْ لاَ يَزَلْ يَسْتَحْمِلُ النَّاسَ نَفْسَهُ وَلَمْ يُغنِها يَوْماً مِنَ النَّاسِ يُسْأَمِ

ولم يكن أبو زيد وحده هو الذى قرأ شعر زهير على أبى عمرو بن العلاء ، وإنما قرأه أيضاً الأصمعى ، وقد روى عن أبى عمرو فى مواطن متعددة ، بعضها فيه نقد أدبى طريف ، فمن ذلك أنه يذكر بيت زهير :

إِذَا لَقِحَتْ حَرْبٌ عَوَانٌ مُضِرَّةٌ ضَرُوسٌ تُهِرُّ النَّاسَ أَنيابُهَا عُصْلُ

ثم يقول [1] : « سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : قال زهير " حرب مضرة " ، ولو كان إلىّ لقلت " حرب مصرَّة " أى تعتزم وتمضى » . ومن أمثلة ذلك أيضاً أنه يذكر بيته :

هُنالك إِنْ يُسْتَخْبَلُوا المالَ يُخْبِلُوا وإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وإِنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا

ثم يقول الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء [2] « ولو أنشدتُها لأنشدتُها :

هنالك إِنْ يُسْتَخْوَلُوا المالَ يُخْوِلُوا »

ويبدو أن الأصمعى لم يكتف برواية شعر زهير عن أبى عمرو بن العلاء وحده — كما لم يكتف بروايته شعر امرئ القيس على ما مر بنا — وإنما أضاف إلى روايته ما أخذه عن غيره من العلماء أو ما سمعه من الأعراب الرواة ، ثم قرأ ذلك كله وقرئ عليه ، وآية ذلك أننا نجد للأصمعى روايات لبعض الألفاظ وشروحاً لبعض الأبيات فى القصائد التى أسقطها من روايته ونص على أنها ليست لزهير [3] . ولذلك فنحن نرجح هنا — كما رجحنا فى حديثنا عن رواية الأصمعى لديوان

---

(١) شرح ديوان زهير لثعلب : ١٠٤ .

(٢) المصدر السابق : ١١٢ .

(٣) المصدر السابق : ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٢٠٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ وغيرها . . .

امرئ القيس ــ أن الأصمعى قد وجد أمامه ديوان امرئ القيس تراثاً يتناقل ويروّى ويتدارس، فكان لا بد له ــ فى مجالس علمه ــ من أن يقرأه جميعه ، ويقرئه تلامذته ، ولكنه كان كلما مر بقصيدة نص على رأيه فى صحة نسبتها إلى زهير ، إثباتاً أو نفياً ، ثم يشرح القصيدة فى الحالتين ، ويذكر بعض روايات ألفاظها ، غير أنه لم يثبت فى نسخته من ديوان زهير التى رواها عنه تلاميذه ، إلا ما ثبت لديه أنه لزهير حقًّا ، فكان مجموع ذلك هذه القصائد الخمس عشرة التى أشرنا إليها .

قصائد زهير ومقطعاته

مرتبة كما جاءت فى رواية الأصمعى
ومقارنتها بما فى النسخ الأخرى

١ ــ أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ

(١) القصيدة الأولى فى ثعلب .

(٢) والأولى كذلك فى مخطوطة نور عثمانية، وفيها بعد البيت الأول « قال أبو عمرو : قرأت على بعض بنى زهير : الدُّرّاج برفع الدال » .

٢ ــ صحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وقَدْ كَاد لَا يَسْلُو
وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى التَّعَانِيقُ فالثَّقْلُ

(١) القصيدة الخامسة فى ثعلب .

(٢) والسادسة عشرة فى نور عثمانية، إلا أنها هنا شطرت شطرين، فجعلت قصيدتين لا قصيدة واحدة، وذلك بأن ذكرت بعض أبياتها الأخيرة فى هذه المخطوطة (ورقمها ٥٤) وقبلها قوله : « وهذه الأبيات زيادة لم يروها أبو نصر ،

وليست فى روايته ، أنشدها بعض العلماء ! » .

٣ ـ صَحَا الْقَلْبُ عن سَلْمَى وَأَقْصَر بَاطِلُهْ
وَعُـرِّىَ أَفْرَاسُ الصِّبَـا وَرَوَاحِلُهْ

(١) آخرها فى رواية الأصمعى :
يهـد له مادون رمـلة عالج ومن أهله بالغور زالت زلازله
قال الأعلم ص ٣٣ : « وهذا البيت آخر القصيدة فى رواية الأصمعى ، ويلحق بالقصيدة البيتان اللذان بعده وهما لخوّات بن جبير الأنصارى ... »
(٢) القصيدة السابعة فى ثعلب ، وقد قال فى ص ١٤٢ :
« وهذه آخر رواية أبى عمرو ، وروى أبو عبيدة والأصمعى . . » ثم يذكر سبعة أبيات .
(٣) القصيدة التاسعة فى نور عثمانية .

٤ ـ إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنَ فانْفَرَقَا وَعُلِّقَ الْقَلْبُ مِنْ أَسْمَاءَ مَا عَلِقَا

(١) آخرها فى رواية الأصمعى :

يَطْعنهم ما ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا ضَارَبَ حَتَّى إِذا ما ضارَبُوا اعْتَنَقَا

وذكر الأعلم ص ٤١ بيتين بعده عن غير الأصمعى .
(٢) القصيدة الثانية فى ثعلب ، وقد أورد قبيل آخرها ستة أبيات نص على أنها من رواية أبى عمرو (ص ٤٩ ـ ٥٢) ثم أربعة أبيات نص على أنها مما روى أبو عمرو والأصمعى (ص ٥٣ ـ ٥٤) ، ثم بيتين فى آخرها نص على أنهما « من غير هذه الرواية » وأن الأصمعى لم يروهما (ص ٥٥) .
(٣) القصيدة الثانية كذلك فى نور عثمانية ، وقد ذكر أن أبا عمرو لم يرو آخرها بيتاً .

٥ ـ بَانَ الْخَلِيطُ وَلَمْ يَأْوُوا لِمَنْ تَرَكُوا
وَزَوَّدُوكَ اشتيـاقاً أَيَّةً سَلَـكُوا

(١) القصيدة التاسعة فى ثعلب .
(٢) والخامسة فى نور عثمانية .

٦ ـ تَعَلَّمْ أَنَّ شَرَّ النَّاسِ حَيٌّ يُنَادَى فِى شِعَارِهِمُ يَسَارُ

(١) القصيدة الخامسة والعشرون فى ثعلب .
(٢) والثامنة والعشرون فى نور عثمانية .

٧ ـ [1] قِفْ بالدِّيارِ التى لم يَعْفُهَا القِدَمُ بَلَى ، وَغَيَّرها الأَرْوَاحُ والدِّيَمُ

(١) الثامنة فى ثعلب ، والسابعة عشرة فى نور عثمانية .

٨ ـ لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ شَهْرِ

(١) ذكر الأعلم آخرها بيتاً عن غير الأصمعى ، ص ٦٤ .
(٢) القصيدة الرابعة فى ثعلب ،وهو يورد منها ستة عشر بيتاً ثم يقول : « هذا آخر رواية أبى عمرو » ص٩٤ ، ويكمل عدة القصيدة اثنين وعشرين بيتاً .
(٣) القصيدة العشرون فى نور عثمانية .

٩ ـ عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الجِوَاءُ فَيُمْنٌ فالقَـوَادِمُ فالحِسَاءُ

(١) ذكر الأعلم البيت السابع منها عن غير الأصمعى،ص ٦٥ .
(٢) القصيدة الثالثة فى ثعلب .
(٣) والثالثة أيضاً فى نور عثمانية .

---

(١) جاء فى أصل الأعلم – بعد القصيدة السادسة – قصيدتان لم يروهما الأصمعى ، ولذلك أسقطناهما ، وهما قوله :

١٠ ـ لِمَنْ طَلَلٌ بِرامَةَ لَا يَرِيمُ عَفَا وَخَلَا لَهُ حُقُبٌ قَدِيمُ

(١) القصيدة الثانية عشرة فى ثعلب ، والتاسعة عشرة فى نور عثمانية ,

١١ ـ أَلَا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ وَقَدْ يَأْتِيكَ بالخَبَرِ الظَّنُونُ

(١) القصيدة العاشرة فى ثعلب ، ولم يرو أبو عمرو فيها الأبيات الثلاثة الأخيرة فى رواية الأصمعى .

(٢) القصيدة الرابعة فى نور عثمانية .

١٢ ـ رأيتُ بَنِي آل امرئِ القَيْسِ أَصْفَقُوا

عَلَيْنَا وقالوا إننا نَحْنُ أَكْثَرُ

(١) القصيدة الثالثة عشرة فى ثعلب ، والثانية عشرة فى نور عثمانية .

١٣ ـ إنَّ الرِّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا مَا تَبْتَغِي غَطَفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتِ

(١) القصيدة الثامنة والثلاثون فى ثعلب ، والسادسة والعشرون فى نور عثمانية .

(٢) رواها الأصمعى ـ فى الأعلم ـ فى ثلاثة أبيات ، وجاءت فى ثعلب ونور عثمانية فى خمسة أبيات ، ووردت فى طبقات ابن سلام فى أربعة أبيات (ص ٥٦٨ ـ ٥٦٩) وقال ابن سلام : « حدثنى أبو عبيدة قال : كان قراد ابن حنش من شعراء غطفان وكان جيد الشعر قليله ، وكانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه وتدعيه ، منهم زهير بن أبى سلمى ادعى هذه الأبيات » .

= أَبْلِغْ بَنِي نَوْفَلٍ عَنِّى فَقَدْ بَلَغُوا مِنِّى الْحَفِيظَةَ لَمَّا جَاءَنِى الْخَبَرُ

(١) روى الأعلم (ص ٤٩) خبرها عن أبى حاتم وقال : « لم يعرفها الأصمعى وعرفها أبو عبيدة » .

(٢) القصيدة السادسة والعشرون فى ثعلب ، والسادسة فى نور عثمانية . وقوله :

أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِى الصَّيْدَاءِ كُلَّهُمُ أَنَّ يَسارا أَتَانَا غَيْرَ مَغْلُولِ

(١) قال الأعلم ص ٥٠ : « قال أبو حاتم : لم يعرفها الأصمعى : وعرفها أبو عبيدة » ,

(٢) القصيدة السابعة والعشرون فى ثعلب .

(٣) القصيدة السابعة فى نور عثمانية .

ولما كان إجماع الرواة منعقداً على أن زهيراً قال هذا الشعر فإننا نرجح أن الأبيات الثلاثة التي رواها الأصمعي صحيحة النسبة لزهير، أما البيتان الآخران فلعلهما من شعر قُرّاد بن حَنَش الذى أدخل فى شعر زهير .

١٤– لَعَمْرُكَ والخُطُوبُ مُغَيِّرَاتٌ   وفى طُولِ المُعاشَرَةِ التَّقَالِى

(١) الثالثة والأربعون فى ثعلب ، والخامسة والثلاثون فى نور عثمانية .

١٥– [1]وقالت أُمُّ كَعْبٍ لاتزرْنِى   فَلَا وَاللهِ مَا لَكَ مِنْ مَزَارِ

(١) التاسعة والثلاثون فى ثعلب .

(٢) والسابعة والعشرون فى نور عثمانية .

---

(١) جاء بعد القصيدة الرابعة عشرة – فى أصل الأعلم – قصيدة أنكرها الأصمعى ولذلك أسقطناها من روايته وهى :

أَلَالَيْتَ شِعْرِى هَلْ يَرَى الناسُ مَاأَرَى   مِنَ الْأَمْرِ أَوْ يَبْدُو لَهُمْ مَا بَدَالِيَا

(١) فى الأعلم ص ٨٦ «قال الأصمعى : ليست لزهير ويقال : هى لصرمة الأنصارى ولا تشبه كلام زهير» .

(٢) القصيدة الثالثة والعشرون فى ثعلب ، وقد رواها عن حماد ، ثم قال (ص ٢٨٣) : «وزعم بعض الناس أنها لصرمة بن أبى أنس الأنصارى» . وانظر كذلك كتاب المعمرين لأبى حاتم السجستانى : ٦٦ – ٦٧ .

(٣) القصيدة العاشرة فى نور عثمانية .

الفصل الثانى

دواوين القبائل

١

إن أول ما يستوقف الباحث فى دواوين القبائل هذا الحشد الهائل من أسماء كتب القبائل ودواوين شعرها ، الذى تزخر به بعض كتب القرن الرابع الهجرى وخاصةً كتابى : الفهرست لابن النديم ، والمؤتلف والمختلف للآمدى .

فقد ذكر أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ) ستين ديواناً من دواوين القبائل ، هى فى ترتيبنا لها على حروف الهجاء كما يلى :

١ ــ أشعار الأزْد
٢ ــ كتاب بنى أسد
٣ ــ كتاب أسلم
٤ ــ كتاب أشجع
٥ ــ كتاب بنى أعصُر
٦ ــ كتاب إياد
٧ ــ كتاب باهلة
٨ ــ كتاب بَجيلة
٩ ــ كتاب بَلِىّ
١٠ ــ أشعار بنى تَغلب
١١ ــ كتاب جَرْم
١٢ ــ كتاب بنى جُعْفىّ
١٣ ــ كتاب جُهينة
١٤ ــ كتاب بنى الحارث بن كعب
١٥ ــ أشعار حِمْير
١٦ ــ كتاب بنى حَنيفة
١٧ ــ كتاب خَثعم
١٨ ــ كتاب خُزاعة
١٩ ــ كتاب بنى ذُهْل بن ثَعلبة
٢٠ ــ أشعار الرَّباب
٢١ ــ كتاب بنى رَبيعة بن ذُهْل
٢٢ ــ كتاب بنى سَعد
٢٣ ــ كتاب بنى سعيد
٢٤ ــ كتاب بنى سُليمْ

٢٥ — كتاب السَّكون
٢٦ — كتاب بنى شَيبان
٢٧ — كتاب بنى ضَبَّة
٢٨ — كتاب بنى ضُبيعة
٢٩ — كتاب بنى طُهيَّة
٣٠ — كتاب طيْ
٣١ — أشعار بنى عامر بن صَعصعة
٣٢ — شعر عبد القيس
٣٣ — كتاب بنى عبد الله بن غَطفان
٣٤ — كتاب بنى عَبس
٣٥ — كتاب بنى عجل
٣٦ — كتاب عَدْوان
٣٧ — كتاب بنى عُذْرَة
٣٨ — كتاب بنى عُقيل
٣٩ — كتاب عنزة
٤٠ — أشعار بنى عَوْف بن همام
٤١ — كتاب غنى
٤٢ — كتاب فَزَارة
٤٣ — أشعار فَهم
٤٤ — كتاب بنى قُريظة
٤٥ — كتاب بنى قُشير
٤٦ — كتاب بنى قيس بن ثعلبة
٤٧ — كتاب بنى القين
٤٨ — كتاب بنى كلاب
٤٩ — كتاب كلب بن وَبرة
٥٠ — كتاب كنانة
٥١ — كتاب بنى مُحارب
٥٢ — كتاب بنى مُرَّة بن عوف
٥٣ — كتاب مُزَينة
٥٤ — كتاب نَهد
٥٥ — كتاب بنى نَهشل
٥٦ — كتاب بنى هاشم
٥٧ — كتاب بنى الهُجيم
٥٨ — شعر هُذَيل
٥٩ — شعر بنى يَشكر
٦٠ — مُقطعات الأعراب

ولم ينسب الآمدىّ شيئاً من هذه الدواوين إلى جامع أو صانع من الرواة العلماء ، بل أرسلها هكذا غُفلاً ، إلا ديوانين منها ، الأول : أشعار بنى تغلب ، فقد قال فى معرض حديثه عن ابن جُعَل التغلبى [١] « وله فيها تنخلته من أشعار بنى تغلب مقطعات حسان » . وذلك لا ينفى أنه كان بين يديه ديوان

(١) ص : ٨٣ .

لبنى تغلب ، وأنه قد اختار من هذا الديوان قصائد ومقطعات تنخلها . والثانى : أشعار الرِّباب ،وذلك قوله[1] : « ووجدت فى أشعار الرباب عن المفضل وحماد »، ثم يذكر شعراً . وهذه الإشارة قد تحتمل أن ديوان الرباب كله عن المفضل وحماد ، وقد تعنى أن فى هذا الديوان شعراً عنهما كان من جملته هذا الشعر الذى أورده .

والعجيب أن الآمدى يذكر أحياناً فى سياق حديثه أن بين يديه ديوانين لقبيلة واحدة : أحدهما صنعه السكرى ، والآخر يغفل ذكر صانعه . فمن ذلك مثلاً قوله[2]: « وذكر أبوسعيد السكرى بعد حَرْملة بن عَسلة : عبد المسيح ابن عسلة والمسيَّب بن عسلة . . . وأنشد لعبد المسيح بن عَسلة (ويذكر شعراً)، وأنشد للمسيَّب بن عسلة (ويذكر شعراً) . . . وأنشد أبوسعيد لهما مقطعات أخر ، ولم أرَ لهما فى قبيل شيبان ذكراً وإنما المذكور هناك حرملة وحده » . فبين يدى الآمدى إذن ديوانان لقبيلة شيبان ، أحدهما صنعه السكرى وذكر فيه عبد المسيح بن عسلة وأخاه المسيب بن عسلة ، وأورد لهما فيه شعراً . والثانى لم يُسمِّ لنا الآمدىّ صانعه ، ولم يرد فيه ذكر لهذين الشاعرين ولا شعر لهما ، وإنما المذكور فيه أخوهما حرملة بن عسلة وحده .

أما أبو الفرج محمد بن إسحق النديم (المتوفى سنة ٣٨٥) ، فقد ذكر فى فهرسته ثمانية وعشرين ديواناً من دواوين القبائل ، وكلها منسوبة إلى صانعها ، وهو فى أكثرها أبو سعيد السكرى ، ما عدا ديواناً واحداً منها نسبه إلى ابن الكلبى ، وسنذكر هذه الدواوين كما رتبناها على حروف الهجاء ونضيف إليها بعض ما وجد فى غير الفهرست :

١ ــ أشعار الأزْد ــ عمله السكرى
٢ ــ أشعار بنى أسد ــ عمله السكرى

---

(١) ص : ٢٢ .
(٢) ص : ١٥٨ .

٣ ــ أشعار أشجع ــ عمله السكرى

٤ ــ أشعار بَجِيلة ــ عمله السكرى

٥ ــ أشعار تغلب ــ عمله السكرى [١] ، وعمله أيضاً أبو عمرو الشيبانى [٢] .

٦ ــ أشعار بنى تميم ــ عمله السكرى

٧ ــ أشعار بنى الحارث ــ عمله السكرى

٨ ــ كتاب أخبار الحر وأشعارهم ــ هشام بن محمد الكلبى

٩ ــ أشعار بنى حنيفة ــ السكرى

١٠ ــ أشعار بنى ذُهْل ــ السكرى

١١ ــ أشعار بنى ربيعة ــ السكرى

١٢ ــ أشعار بنى شيبان ــ السكرى ، ومحمد بن حبيب [٣] .

١٣ ــ أشعار الضَّباب ــ السكرى

١٤ ــ أشعار ضَبَّة ــ السكرى

١٥ ــ أشعار طيِّئ ــ السكرى

١٦ ــ أشعار بنى عبد ودّ ــ السكرى

١٧ ــ أشعار بنى عدوان ــ السكرى

١٨ ــ أشعار بنى عَدىّ ــ السكرى

١٩ ــ أشعار بنى فَزَارة ــ السكرى

٢٠ ــ أشعار الفِنْد ــ السكرى

٢١ ــ أشعار فهم ــ السكرى

٢٢ ــ أشعار كِنانة ــ السكرى

---

(١) زيادة من الخزانة ٢ : ١٥٠ ــ ١٦١ .

(٢) الخزانة ١ : ٣٣ .

(٣) زيادة من الخزانة ٤ : ٢٣١ .

٢٣ ــ أشعار بنى محارب ــ السكرى ، وأبوعمرو الشيبانى [١] .

٢٤ ــ أشعار بنى مخزوم ــ السكرى

٢٥ ــ أشعار مُزَيْنة ــ السكرى

٢٦ ــ أشعار بنى نهشل ــ السكرى

٢٧ ــ أشعار هُذَيْل ــ السكرى ، والأصمعى ، وابن الأعرابى [٢] ، وإسحق بن إبراهيم الموصلى .

٢٨ ــ أشعار بنى يَرْبوع ــ السكرى

٢٩ ــ أشعار بنى بشكر ــ السكرى

ومع هذه الوفرة العددية لدواوين القبائل التى حفظت لنا المصادر العربية أسماءها ، فهى لا تعدو أن تكون جزءاً مما ذكرت المصادر نفسها أن العلماء الرواة قد صنعوه من دواوين القبائل. فقد عددنا للسكرى وحده من هذه الدواوين ــ كما ذكر ابن النديم ــ ثمانية وعشرين ديواناً لثمانى وعشرين قبيلة ، ومع ذلك فالمعروف أن السكرى لم يستوعب القبائل كلها ، وأنه لم يصنع إلا « قطعة » منها فقط [٣] . وهذا أبوعمرو الشيبانى لم يذكر له ابن النديم ــ على سبيل المثال ــ ديواناً واحداً من دواوين القبائل التى صنعها ، وذكر له صاحب الخزانة ديوانين فقط هما : ديوان بنى تغلب ، وديوان بنى محارب ، ومع ذلك فقد ذكر ابنه عمرو أن أباه جمع أشعار نيف وثمانين قبيلة ، كل قبيلة وحدها فى ديوان مستقل [٤]. وذكرت لنا المصادر ــ فضلاً عن ذلك ــ أن من العلماء الرواة من جمعوا أشعار القبائل، بهذا الإطلاق والتعميم . وممن ذكروهم ــ غير من قدمنا ــ : أبوعبيدة

---

(١) زيادة من الخزانة ١ : ٣٢ ــ ٣٣ .

(٢) زيادة من مروج الذهب المسعودى ٤ : ٧٣ قال إن الطوسى قرأ شعر هذيل على ابن الاعرابى .

(٣) الفهرست : ١١٧ .

(٤) المصدر السابق : ١٠١ .

معمر بن المثنى[١] ، وخالد بن كلثوم الكلبي[٢] ، ومحمد بن حبيب[٣] .

ومع كل هذا الجهد الخصب الذى بذله كثير من العلماء الرواة فى جمع أشعار القبائل ، ومع كثرة الدواوين التى ذكرت المصادر أن هؤلاء العلماء قد صنعوها ، فقد قال ابن قتيبة[٤]: « والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم فى الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط ، أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو أنفد عمره فى التنقير عنهم ، واستفرغ مجهوده فى البحث والسؤال . ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر إلا عرفه ولا قصيدة إلا رواها . . » فإذا كان ذلك كذلك فما أشدّ حسرة الباحث فى دواوين القبائل وروايتها إذا علم أن صروف الدهر لم تُبق لنا إلا على ديوان واحد فقط من هذه الدواوين الكثيرة التى زخرت بأسمائها المصادر العربية ، وهى ليست إلا جزءاً مما صنعه الرواة ، وكل ذلك ليس أيضاً إلا جزءاً مما قاله شعراء القبائل — هذا الديوان الوحيد الذى بقى لنا هو : ديوان هُذَيْل .

غير أن حظ قبائل العرب من الشعر لم يكن واحداً ، وإنما كانوا يتفاوتون فى كثرة شعرائهم وشعرهم ، وفى ذلك يذكر الجاحظ حديثاً طريفاً ، قال[٥]: « وبنو حنيفة — مع كثرة عددهم ، وشدة بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وحسد العرب لهم على دارهم وتخومهم وسط أعدائهم ، حتى كأنهم وحدهم يعدلون بكراً كلها — ومع ذلك لم نر قبيلة قط أقلّ شعراً منهم . وفى إخوتهم عجل قصيد ورجز وشعراء ورجازون . وليس ذلك لمكان الخصب وأنهم أهل مدر وأكالو تمر ؛ لأن الأوس والخزرج كذلك وهم فى الشعر كما قد علمت . وكذلك

---

(١) ياقوت ، إرشاد ١٩ : ١٦١ .
(٢) الفهرست : ٩٨ .
(٣) المؤتلف والمختلف : ٧١ — ٧٢ ، ١١٩ ، ١٢٠ .
(٤) الشعر والشعراء : ١ : ٤ .
(٥) الحيوان ٤ : ٣٨٠ — ٣٨٢ .

عبدالقيس النازلة قرى البحرين ، فقد تعرف أن طعامهم أطيب من طعام أهل اليمامة. وثقيف أهل دار ناهيك بها خصباً وطيباً ، وهم — وإن كان شعرهم أقل — فإن ذلك القليل يدل على طبع فى الشعر عجيب . وليس ذلك من قِبَل رداءة الغذاء، ولا من قلة الخصب الشاغل والغنى عن الناس ، وإنما ذلك عن قدر ما قسم الله لهم من الحظوظ والغرائز ، والبلاد والأعراق مكانها . وبنو الحارث بن كعب قبيل شريف ، يجرون مجارى ملوك اليمن ، ومجارى سادات أعراب أهل نجد ، ولم يكن لهم فى الجاهلية كبير حظ فى الشعر ، ولهم فى الإسلام شعراء مفلقون . وبنو بدر كانوا مفحمين ، وكان ما أطلق الله به ألسنة العرب خيراً لهم من تصيير الشعر فى أنفسهم . وقد يحظى بالشعر ناس ويخرج آخرون ، وإن كانوا مثلهم أو فوقهم . وقد كان فى ولد زُرَارة لصلبه شعر كثير ، كشعر لقيط وحاجب وغيرهما من ولده . ولم يكن لحذيفة ولا حصْن ولا عيينة بن حصن ، ولا لحمل بن بدر — شعر مذكور » .

فإذا ما عدنا إلى قول ابن قُتيبة الذى ذكرناه وهو « ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر إلا عرفه ، ولا قصيدة إلا رواها » ، استبان لنا صدق هذا القول من الإشارات المبثوثة فى صفحات المصادر التى بين أيدينا. فقد رأينا أن الآمدى يذكر فى كتابه « المؤتلف والمختلف » ستين ديواناً لستين قبيلة ، وقد رأى هذه الدواوين كلها ورجع إليها ، وأخذ منها شعراً كثيراً للشعراء الذين أوردهم فى كتابه . ومع ذلك فهو كثيراً ما يذكر أسماء شعراء جاهليين وإسلاميين ، ثم ينص على أنه لم يجد لهم — فيما بين يديه من دواوين قبائلهم — ذكراً أو شعراً . فمن ذلك أنه يذكر الأغلب الكلبى ثم يقول[1]: « لم أجد له فى أشعار كلب شعراً ، وأظن شعره درس فلم يُدْرَك » . ويذكر ابنَ أحمر الإيادى ثم يقول إنه لم يجد له فى كتاب إياد إلا بيتاً واحداً

(١) ص : ٢٣ .

ذكره [١] . ويذكر الحارث بن البرصاء ثم يقول[٢]: « وليس له عندى فى كتاب كنانة ذكر » . ويذكر عبد المسيح بن عسلة وأخاه المسيب بن عسلة ثم يقول[٣]: « ولم أر لهما فى قبيل شيبان ذكراً ، وإنما المذكور هناك حرملة وحده » . ويذكر أبا الغول النهشلى ثم يقول[٤]: « ذكر أبو اليقظان . . . أنه شاعر . . . . ولم أر له ذكراً فى كتاب بنى نهشل » . ويذكر الكيذبان المحاربى ويقول[٥]: « ليس له فى كتاب محارب ذكر ولا أدرى من أين نقلته وليس له عندى شعر ! » ويذكر ملاعب الأسنة الحارثى ويقول[٦]: « ولم أر له شعراً فى كتاب بنى الحارث » ويذكر الحارث بن بكر الذبيانى ويقول[٧]: « وجدت فى كتاب بنى مرة بن عوف أنه أحد الشعراء النوابغ ولم يذكر له شعراً وأظن شعره درس » . والأمثلة على ذلك كثيرة لا داعى لاستقصائها .

وبعد ،

أفيكون ذلك معنى قول أبى عمرو بن العلاء[٨]: « ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير » ؟

---

(١) ص : ٣٨ .
(٢) ص : ٦٨ .
(٣) ص : ١٥٨ .
(٤) ص : ١٦٣ .
(٥) ص : ١٧١ .
(٦) ص : ١٨٧ .
(٧) ص : ١٩٢ — ١٩٣ .
(٨) طبقات الشعراء : ٢٣ .

٢

وأمام الباحث سؤالان ، فى الإجابة عنهما جماع البحث عن دواوين القبائل ، هما : ما معنى ديوان القبيلة ، وماذا كان يحوى بين دفتيه ؟ ثم : متى نشأت دواوين القبائل ، ومتى جمعت أول مرة ، وما المصادر التى أخذ منها الرواة والعلماء من الطبقة الأولى ما جمعوه من هذه الدواوين ؟

أما السؤال الأول فليس من سبيل إلى الإجابة عنه إلا بتتبع ما ورد فى المصادر العربية من إشارات تذكر فيها دواوين القبائل ، ودراسة هذه الإشارات دراسة تعين على استنباط صورة واضحة تبين معنى ديوان القبيلة ؛ وذلك لأننا ذكرنا من قبل أن هذا الحشد الزاخر من دواوين القبائل قد أتى عليه الدهر ، ولم يبق لنا منه إلا ديوان واحد هو ديوان هذيل — وسنخصه بحديث مستقل بعد صفحات. فلا أقل إذن ، بعد أن عزّت دراسة الدواوين نفسها ، من أن ندرس ما بقى بين أيدينا من أخبار عن هذه الدواوين وإشارات إليها .

وأول ما نلحظه فى هذه الدراسة هى تسمية الديوان ؛ فقد كانوا يطلقون على ديوان القبيلة : « أشعار بنى فلان » ، أو « شعر بنى فلان » ، أو « كتاب بنى فلان » . فالآمدى مثلا يذكر فى موطن من كتابه « شعر فزارة »[١] ، ويذكر فى موطن آخر « كتاب فزارة »[٢] وهما بمعنى ؛ ويذكر « كتاب بنى يشكر »[٣] و « شعر بنى يشكر »[٤] ، ويذكر « كتاب بنى عقيل »[٥]

---

(١) المؤتلف والمختلف : ٥٩ .
(٢) ص : ٦٥ ، ٧٦ .
(٣) ص : ١٨٦ .
(٤) ص : ٤٠ .
(٥) ص : ١١٨ .

و « شعر بنى عقيل »[١] ، و « كتاب بنى أسد[٢] » و « أشعار بنى أسد»[٣] ، و « كتاب طيئ »[٤] و « أشعار الطائيين »[٥] ، و « كتاب بنى سليم »[٦] و « أشعار بنى سليم »[٧] ، وهكذا .

وكتاب القبيلة أو ديوانها يضم بين دفتيه ثلاثة أشياء :

١ ــ يضم شعر شعراء القبيلة أو بعضهم ، وفى ذلك يقول الآمدى فى سياق حديثه عن بعض الشعراء: « وله أشعار فى كتاب بنى ربيعة بن ذهل »[٨] ، و « له فى كتاب أسد أشعار »[٩] ، « وهى أبيات من كتاب خزاعة »[١٠] ، « وله أشعار فى كتاب بنى عجل »[١١] ، « وله فى كتاب بنى سليم أشعار حسان »[١٢] ، « وله أشعار جياد فى كتاب بنى ربيعة بن ذهل وفى بطون قريش »[١٣] ، « وله فى كتاب بنى ذهل بن ثعلبة مقطعات حسان »[١٤] ، « وشعرهم فى كتاب بنى عقيل »[١٥] ، « وهذه الأبيات ثابتة فى كتاب بجيلة »[١٦] ، « ووجدت فى كتاب طيئ الذى نقلت منه شعر الطرماح بن جهم

---

(١) ص : ١٢٨ .
(٢) ص : ٣٤ .
(٣) ص : ١٨ .
(٤) ص : ١٤٨ .
(٥) ص : ٥٠ .
(٦) ص : ٧٦ .
(٧) ص : ١٧ .
(٨) ص : ١٣ .
(٩) ص : ١٥ .
(١٠) ص : ٥٢ .
(١١) ص : ٧١ .
(١٢) ص : ٧٦ .
(١٣) ص : ٧٩ .
(١٤) ص : ٨٨ .
(١٥) ص : ١١٨ .
(١٦) ص : ١١٩ .

السنبسى» [١] ، «وله فى كتاب كلب أشعار» [٢] ، «وله فى كتاب بنى ضبيعة أشعار حسان جياد» [٣] . إلى آخر ما يشبه هذه من إشارات .

٢ — ويضم كتاب القبيلة أو ديوانها أخباراً وقصصاً وأحاديث ؛ وفى ذلك يقول الآمدى : «وهو القائل : مكره أخوك لا بطل ، فى قصة . . . وشرح ذلك فى كتاب فزارة» [٤] ، «وقتل أخواه فى قصة مذكورة فى كتاب بنى سعد» [٥] ، «وله فى كتاب فزارة خبر وأشعار ورجز جياد» [٦] ، «وله فى كتاب بنى أسد أشعار وأخبار حسان» [٧] ، «وقصتهما مذكورة فى كتاب بنى شيبان» [٨] ، «وخبره مع جاهمة فى كتاب بنى أعصر» [٩] ، «وله فى كتاب بنى إياد أشعار وأخبار وقصة مع أبيه» [١٠] ، «وله فى هذا حديث وخبر فى كتاب بنى طهية» [١١] ، «والقصة مذكورة فى كتاب بنى شيبان» [١٢] ، «فى قصة مذكورة فى كتاب مزينة» [١٣] ، «وله أشعار وأخبار فى قبيل بَلِىّ» [١٤] ، إلى آخر ما يشبه هذه الإشارات ، ويبدو منها أن تلك الأخبار والأحاديث والقصص إنما وردت فى كتاب القبيلة لبيان حادثة تاريخية ذكرت فى الشعر ، أو لتوضيح المناسبة التى

---

(١) ص : ١٤٨ .
(٢) ص : ١٥٣ .
(٣) ص : ١٩٨ .
(٤) ص : ٦٥ .
(٥) ص : ٦٩ .
(٦) ص : ٧٦ .
(٧) ص : ٨٥ .
(٨) ص : ١٠٢ .
(٩) ص : ١٠٢ .
(١٠) ص : ١١٧ .
(١١) ص : ١٦٣ .
(١٢) ص : ١٧٤ .
(١٣) ص : ١٨٢ .
(١٤) ص : ١٨٢ .

نُظمت فيها القصيدة ، أو لتفسير بيت من أبياتها .

٣ ــ وفى كتاب القبيلة أو ديوانها ــ فضلاً عن ذلك ــ نسب أيضاً . ويبدو ذلك واضحاً من هذه الإشارات التى أوردها الآمدى ينفى بها أنه وجد نسب فلان أو فلان فى كتاب هذه القبيلة أو تلك ، مما يدل على أن نسب غيرهم ــ ممن لم ينص عليهم ــ موجود مرفوع فى كتب قبائلهم ، فهو يقول : « لم يُرفع فى كتاب عذرة نسبه »(١) ، و « لم يرفع نسبه فى كتاب عنزة »(٢) ، « ولم يرفع فى كتاب بنى الهجيم نسبه »(٣) ، « ولم يرفع فى كتاب جهينة نسبه »(٤) ، « وجدته فى بنى الحارث بن كعب لم يرفع نسبه . . »(٥) ، و « لم يرفع نسبه فى كتاب السكون »(٦) ، و « لم يرفع فى كتاب بنى عجل نسبه »(٧) ، و « لم يرفع نسبه فى كتاب جرم »(٨) . وأمر النسب فى هذه الكتب كأمر الأخبار والأحاديث والقصص ، لم يُذكر لذاته ، وإنما ذكر لذكر الشاعر نفسه وشعره .

فكتب القبائل إذن ــ فى جوهرها ــ مجموعات شعرية ، تضم بين دفتيها قصائد كاملة ، ومقطعات قصيرة ، وأبياتاً متفرقة ، لشعراء تلك القبيلة أو لبعض شعرائها ، وربما ضمت أكثر شعر هؤلاء الشعراء ، بل ربما ضمت جميع شعر شاعر منهم وديوانه كاملاً . ثم تضيف إلى ذلك من الأخبار والنسب والقصص والأحاديث ما يتصل بالشاعر نفسه ، أو ببعض أفراد قبيلته ، وما يوضح مناسبات القصائد ، ويفسر بعض أبياتها ، ويبين ما فيها من حوادث تاريخية . فيجىء

---

(١) ص : ٦٥ .
(٢) ص : ٨٠ .
(٣) ص : ٨٨ .
(٤) ص : ٨٩ .
(٥) ص : ١٠٠ .
(٦) ص : ١٦٧ .
(٧) ص : ١٧٩ .
(٨) ص : ١٩٦ .

كتاب القبيلة بذلك سجلاً لحوادثها ووقائعها ، وديواناً لمفاخرها ومناقبها ، ومعرضاً لشعر شعرائها .

فإذا كان ذلك كذلك، فمتى جُمعت هذه الدواوين أول مرة ؟ وإلى أى مدى نستطيع أن نتتبع تاريخ تدوينها حتى نصل إلى بداية هذا التدوين ، أو إلى قريب من بدايته ؟ والإجابة عن ذلك تضطر الباحث إلى أن يسلك مجاهل وقفاراً ، تحمله على أن يصطنع الحذر ، وأن يتثبت من مواطئ قدميه قبل المضىّ وفى أثنائه، ولكنه مع ذلك لايعدم بعض المعالم يقيمها على جانبى الطريق، وينصبها بين يديه ومن خلفه يهتدى بها فى سيره ؛ ولا عليه بعد ذلك إن لم يبلغ أقصى الغاية ، فحسبه أنه قد بذل الجهد وأخلص النية .

وأسلم ما يبدأ به الباحث : هذه الدواوين التى ذكرتها المصادر ، ورفعت إسناد روايتها إلى الطبقة الأولى من الرواة العلماء . فقد مر بنا أن أبا عبيدة معمر ابن المثنى قد جمع أشعار القبائل فى كتاب واحد أو كتب عدة[1]. وأن الأصمعى قد جمع أيضاً بعض أشعار القبائل ، ومنها ديوان هُذَيْل الذى سنتحدث عنه بعد قليل. وأبو عبيدة والأصمعى بصريّان . أما علماء الكوفة من رجال الطبقة الأولى الذين جمعوا أشعار القبائل ودواوينهم فهم : حماد الراوية (المتوفى سنة١٥٦هـ)، والمفضل الضبى (المتوفى سنة ١٦٨ أو١٧٨)، وقد ذكرهما الآمدى كما مر بنا[2]، وخالد بن كلثوم الكلبى — وهو فى طبقة أبى عمرو الشيبانى[3] — قال عنه ابن النديم ، فيما نقله من خط ابن الكوفى[4]، إنه من علماء الكوفيين و« من رواة الأشعار وعارف بالأنساب والألقاب وأيام الناس ، وله صنعة فى الأشعار والقبائل . . . وله من الكتب . . . كتاب أشعار القبائل ويحتوى على عدة قبائل » . غير أن أشهر من جمع دواوين القبائل من الكوفيين :

---

(١) ياقوت ، إرشاد ١٩ : ١٦١ .
(٢) المؤتلف والمختلف : ٢٢ .
(٣) السيوطى ، البغية : ٢٤١ .
(٤) الفهرست : ٩٨ .

أبو عمرو الشيبانى الذى جمع أشعار العرب حتى صنع شعر نيف وثمانين قبيلة ، « فكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس كتب مصحفاً وجعله فى مسجد الكوفة حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه »[١] ، « وكان يكتب بيده إلى أن مات »[٢] . وقد قرأ دواوين الشعراء على المفضل[٣] . وبلغ من شهرته فى جمع دواوين القبائل أن الناس أخذوا « عنه دواوين أشعار القبائل كلها »[٤] ، ولم يبق لنا من هذه الدواوين التى صنعها وجمعها شىء ، بل لم تحفظ لنا المصادر من أسمائها إلا ديوانين : أشعار تغلب[٥] ، وأشعار قبيلة محارب بن خصفة ابن قيس عيلان ، وقد رآه عبد القادر البغدادى ، وكانت لديه منه نسخة قديمة ، قال[٦] : « وهى عندى فى نسخة قديمة تاريخ كتابتها فى صفر سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وكاتبها أبو عبد الله الحسين بن أحمد الفزارى ، قال : نقلتها من نسخة أبى الحسن الطوسى ، وقد عرضت على ابن الأعرابى » .

ثم أخذ عن هذه الطبقة الأولى من الرواة العلماء تلاميذهم من علماء الطبقة الثانية ، فأخذ ابن الأعرابى عن المفضل وعن أبى عمرو الشيبانى حتى اشتهر أيضاً بأنه « راوية لأشعار القبائل »[٧] ، وأخذ محمد بن حبيب عن أبى عمرو الشيبانى ، ولم يبق لنا ذكر شىء من دواوين القبائل التى صنعها ابن الأعرابى وابن حبيب إلا « ديوان أشعار بنى شيبان » صنعه محمد بن حبيب [٨] . ثم أخذ عن هؤلاء من تلاهم مثل السكرى — وقد مر بنا ذكر دواوين القبائل التى صنعها ، وسنفصل القول فيه حين نتحدث عن ديوان هذيل .

---

(١) الفهرست : ١٠١ .
(٢) المصدر السابق : ١٠٢ .
(٣) وفيات الأعيان ١ : ٦٥ .
(٤) الفهرست : ١٠١ .
(٥) الخزانة ١ : ١٠ .
(٦) المصدر السابق ٣ : ١٦٥ .
(٧) طبقات النحويين واللغويين : ٢١٣ .
(٨) الخزانة ٤ : ٢٣١ .

هذا هو المَعْلَم الأول فى سبيل دراستنا لدواوين القبائل، ونرى منه أن هذه الدواوين كانت موجودة — مكتوبة مدونة — فى القرن الثانى الهجرى ، أى من نهاية الربع الأول من القرن الثانى على التقريب إلى مطلع القرن الثالث ، وهى الحقبة التى كان يحيا فيها هؤلاء العلماء الرواة من رجال الطبقة الأولى ، ويبلغ فيها نشاطهم ذروته . غير أن ذلك لا يعنى أن هذه الكتب قد دُوِّنت فى تلك الحقبة لأول مرة . فقد كانت تلك الدواوين هى النسخ الخاصة بهؤلاء العلماء : كتبوها بأنفسهم ، بعد أن نظروا فى هذا التراث الشعرى الذى وصل إليهم ، ومحَّصوه ونقدوه ونخلوه ، واستخرجوا ما صح منه لكل واحد منهم ، ثم صاروا يُقرئون هذه النسخة تلامذتهم فى مجالس علمهم ، ويقرأها عليهم أولئك التلاميذ ، ويتناقلونها جيلاً بعد جيل على أنها رواية ذلك العالم الأول . ولقد ذكرنا فى حديثنا عن تدوين الشعر الجاهلى ، فى الباب الثانى ، وعن الدواوين المفردة ، فى الفصل الأول من هذا الباب — أن هؤلاء العلماء الرواة من رجال الطبقة الأولى كانوا يَؤُولون إلى نسخ مدونة وصلت إليهم من العصور التى سبقتهم ، وأنهم كانوا أحياناً يجمعون بين هذه النسخ ، ويضيفون إليها ما يصلهم بالرواية الشفهية عن شيوخ مدرستهم أو شيوخ المدرسة المخالفة ، وعن الأعراب الرواة ، ثم ينظرون فى كل ذلك نظرة تمحيص ونقد ، حتى يستخرجوا منه ما ترجُح لديهم صحته ، فيضمنّوه فى نسختهم التى يرويها عنهم تلاميذهم . ذلك فى الدواوين المفردة ، فهل الأمر نفسه فى دواوين القبائل ؟

إن بين أيدينا ثلاثة أخبار يحسن بنا أن نعرضها ولاءً لنستبين دلالتها :

الأول : ما ذكره أبو العباس ثعلب قال[1] : « جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها : الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك ، وردّ الديوان إلى حماد وجناد » .

والثانى : ما ذكره حماد نفسه قال[2] : « أرسل الوليد بن يزيد إلىّ بمائتى

(١) الفهرست : ١٣٤ .

(٢) الأغانى ٦ : ٩٤ .

دينار ، وأمر يوسف بن عمر بحملي إليه على البريد . قال ، فقلت : لا يسألني إلا عن طرفيه : قريش وثقيف ؛ فنظرت فى كتابيْ قريش وثقيف ، فلما قدمت عليه سألنى عن أشعار بَلِيّ ، فأنشدته منها ما استحسنه . . »

والثالث : ما ذكره ابن النطاح من أن حماداً عثر على ديوان فيه «جزء من شعر الأنصار ، فقرأه حماد فاستحلاه وتحفّظه ، ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد ذلك[1] . . . . »

ومهما تكن قيمة هذه الأخبار ، ومهما يكن مدى الثقة فى صحتها ، فإن لها — لا شك — دلالتها التى تتسق مع ما قدمنا ، فى مواطن متفرقة ، عن انتشار التدوين واتصاله فى تلك الحقبة . ودلالة هذه الأخبار فى أنها تصل دواوين القبائل بالدواوين المفردة — التى تحدثنا عنها — فى قِدَم تدوينها ، فهى تدل على أن كتب القبائل كانت مكتوبة مدونة قبل مطلع القرن الثانى الهجرى ، وأن العلماء الرواة من رجال الطبقة الأولى — فى القرن الثانى — قد وصلتهم هذه المدونات من القرن الأول الهجرى ، فاعتمدوها مصدراً من مصادر تدوينهم نسختهم الخاصة التى نُسبت روايتها إليهم .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الوليد بن يزيد لم يكن وحده الذى عُنى بجمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ، وإنما شاركه فى كل ذلك بعض خلفاء بنى أمية ، وخاصة عبد الملك بن مروان ومن قبله معاوية بن أبى سفيان ؛ وأن هؤلاء الخلفاء كانوا — كما مر بنا — يطلبون من رواة الشعر والأخبار ، من تعمر بهم مجالسهم الخاصة والعامة ، وأنهم كانوا يأمرون غلمانهم وكتّابهم بكتابة ما ينشده هؤلاء الرواة والعلماء من الشعر وما يقصونه من الأخبار [2] ؛ إذا أضفنا هذا إلى ما قدمنا رجحت لدينا صحة الأخبار الثلاثة التى ذكرناها ، ورجح عندنا أن هذه الدواوين كانت مدونة فى القرن الأول نفسه . ونكون بذلك قد

(١) الأغانى ٦ : ٨٧ .

(٢) انظر ص : ١٩٦ — ٢٠٢ من هذا الكتاب .

نصبنا المعلم الثانى الذى نستأنس به فى سبيل بحثنا هذا .

وبقى معلم ثالث إذا أقمناه ، استقام لنا وجه الطريق، وانتهى عنده مطافنا ، هذا المعلم الثالث قِوامه خبران ، أو خبر ونص شعرى :

١ — أما الخبر ففيه تأييد لما قدمناه من أمر عثور حماد على جزء من شعر الأنصار ، وذلك أن أبا الفرج الأصفهانى يروى عن شيوخه فى إسناد طويل قوله[1]: « نهى عمر بن الخطاب الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومشركى قريش ، وقال : فى ذلك شتم الحى بالميت وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام » . ثم يروى لنا فى خبر طويل أن عبد الله بن الزِّبَعْرَى السهمىّ وضرار بن الخطاب الفهرىّ أنشدا حسان بن ثابت شعراً مما كانا قالاه قبل الإسلام ، فشكاهما حسان إلى عمر . . . وكان من نتيجة ذلك أنّ قال عمر لمن حضر مجلسه: « إنى كنت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دفعاً للتضاغن عنكم وبث القبيح فيما بينكم ، فأما إذ أبوا، فاكتبوه واحتفظوا به » قال: « فدوّنوا ذلك عندهم . قال خلاد بن محمد: فأدركته والله وإن الأنصار لتجدده عندها إذا خافت بلاه » .

٢ — أما النص الشعرى ، فقول بشر بن أبى خازم — وهو شاعر جاهلى لم يدرك الإسلام — قال [2] :

وَجَدْنَا فِى كِتَابِ بَنِى تَمِيمٍ : « أَحَقُّ الخَيْلِ بِالرَّكْضِ المِعَارُ »

وقد تحدثنا عن هذا البيت ، وعن ترقيمنا إياه ووضْعِنا شطره الثانى بين علامتى اقتباس — فى الباب الثانى من هذا البحث [3] . ولكننا نحب أن نضيف إلى قولنا السابق شيئاً جديداً ، وهو : أن بعض الباحثين قد شك فى هذا البيت ،

(١) الأغانى ٤ : ١٤٠ — ١٤١ .
(٢) المفضليات : ٩٨ .
(٣) انظر ص : ١٦٣ — ١٦٤ من هذا الكتاب .

فقد كتب جولدتسيهر فى مجلة الجمعية الآسيوية الملكية — عدد إبريل سنة ١٨٩٧ — يقول[1]: « ولا بد أن كتاب بنى تميم — الذى وجهت الأنظار إليه فى مناسبة سابقة — قديم جداً ، ومع ذلك فإن هذه العبارة من شعر بشر التى يذكر فيها هذا الكتاب ، إذا كانت تشير حقيقة إلى مجموعة مدونة عن مآثر بنى تميم وأشعارها ، تجعل نسبة البيت إلى بشر بن أبى خازم واهية الأساس . فليس من المحتمل — بل من المستحيل — أن توجد مثل هذه المجموعة فى عصر مبكر كهذا العصر الذى عاش فيه بشر » .

ولا نحب أن نطيل فى الحديث عن هذا البيت ، غير أننا لا نملك أنفسنا من أن نلحظ أن كلام جولد تسيهر ليس إلا افتراضاً لم يقدم عليه دليلاً ، ولم يدعمه بما يقيمه ؛ وأن الأساس الوحيد الذى بنى عليه هذا الافتراض هو أنه « ليس من المحتمل — بل من المستحيل — أن توجد مثل هذه المجموعة فى عصر مبكر كهذا العصر الذى عاش فيه بشر » . وقد قلنا من قبل ، فى إسهاب وتفصيل ، إن هذا الأساس واهٍ لأنه يعتمد على فكرة شاعت بين جمهرة الباحثين من العرب والمستشرقين ، وهى : أن الجاهلية كانت أمية جاهلة — وهو ما سميناه « تجهيل الجاهلية » . وقد بينا خطأ هذه الفكرة بما يغنى عن إعادة القول فيها . وقد قصدنا أن نؤخر الحديث عن هذا البيت ، وأن نقدم الحديث عن الأخبار والنصوص التى تحدثنا عنها قبله ، مبتدئين بالحقبة الواضحة بعض الشىء وهى النصف الثانى من القرن الثانى — ثم نعود أدراجنا إلى الوراء : إلى العصر الأموى ، ثم عصر صدر الإسلام ، ثم العصر الجاهلى نفسه ، نقول : قصدنا أن نسير فى هذه السبيل حتى نمهد بين يدى هذا النص بأخبار وروايات تكشف عن اتصال تدوين هذه الكتب الشعرية ، وحتى يبدو هذا البيت متصلاً اتصالاً طبيعياً بما تدل عليه تلك الأخبار . ثم إنه من التأويل الواهى الذى لا سند له يدعمه أن

---

(١) انظر ترجمة المقال بقلم الدكتور حسين نصار فى مجلة الثقافة عدد ٦٣٣ ، ١٢ فبراير سنة ١٩٥١ .

يُشك فى أن لفظة « كتاب » فى هذا البيت « تشير حقيقة إلى مجموعة مدونة عن مآثر بنى تميم وأشعارها » ، وذلك لأن اللفظة صريحة واضحة وقد فهمها الأقدمون أيضاً على وجهها الصحيح ، فقال المرزبانى يشرح بيت بشر بعد أن أورده ، قال[1]: « فمعناه : وجدنا هذه اللفظة مكتوبة » .

ومع ذلك فقد أوضحنا من قبل أنه ليس من منهجنا فى هذا البحث أن نعتسف الطريق اعتسافاً ، ولا أن نحمِّل النصوص فوق ما تحتمل ، بل إن منهجنا يقوم على جمع مادة البحث وتتبع نصوصه ، ثم ترتيب هذه النصوص ، واستنطاقها واستخراج دلالاتها .

ونحسب أننا غير مغالين — بعد أن جمعنا هذه النصوص ورتبناها واستنبطنا منها دلالاتها — إذا ذهبنا إلى أن العلماء الرواة فى القرن الثانى قد كانت بين أيديهم دواوين القبائل مكتوبةً مدونة ، وأنهم اعتمدوا هذه المدونات مصدراً من مصادر تدوينهم نسخَهم الخاصة من كتب القبائل التى نُسبت بعدُ روايتُها إليهم . ونحسب أننا كذلك غير مغالين إذا رجحنا — مجرد ترجيح ، ولكنه ترجيح قوى تدعمه الأخبار والنصوص التى قدمناها — أن هذه المدونات التى وصلت إلى علماء القرن الثانى قد كتب بعضها منذ مطلع القرن الأول ولعل بعضها الآخر قد كتب منذ الجاهلية نفسها .

٣

أما شعر هذيل — وهو الديوان الوحيد الذى وصل إلينا من دواوين القبائل — فنحب ، قبل الحديث عن رواياته ونسخه ، أن نبدأ بالحديث عن عدد ما فيه من الشعراء وأبيات الشعر ، ومدى موافقته لما رواه لنا العلماء . فقد قال

(١) الموشح : ١٧٩ .

أبو سعيد[1]: « قيل لحسان بن ثابت الأنصارى — رضى الله عنه — : أى الناس أشعر ؟ فقال : رجل بأذنه ، أم قبيل بأسره ؟ قال : هذيل فيهم نيف وثلاثون شاعراً أو نحو ذلك ، وبنو سنان مثلهم مرتين ليس فيهم شاعر واحد » . فإذا كان المقصود من هذه العبارة أن جميع من رُوى له شعرٌ من هذيل « نيف وثلاثون شاعراً أو نحو ذلك » ، يكون ديوان هذيل الذى بين أيدينا قد ضم بين دفتيه جميع هؤلاء الشعراء ، إذ أن الشعراء الهذليين فيه نحو أربعين شاعراً . غير أن أكثر من نصفهم قد رُوى لكل منهم أقل من خمسة وعشرين بيتاً ، بل إن بعض هؤلاء لم يُرْوَ له إلا بيتان أو ثلاثة أو أربعة . أما الشعراء الذين تجاوز شعرهم مائة بيت فسبعة فقط . وإذ كان غير محتمل أن يسمّى حسان — فى عبارته المتقدمة — من لم يقل إلا البيتين أو الثلاثة أو الأربعة — شاعراً ، فنحن إذن بين اثنتين : إما أن يكون عدد الشعراء كاملاً أو مقارباً ، ولكن ما روى لهم من الشعر ناقص غير مستوفًى ؛ وإما أن يكون كثير من الشعراء لم يُذْكروا فى الديوان الذى بين أيدينا .

وكلا الأمرين ينتهيان بنا إلى نتيجة واحدة ، هى : أن ما بين أيدينا من شعر هذيل غير كامل . وثمة دليلان على ذلك — غير ما تقدم — أولهما : ما قيل عن الإمام الشافعى أنه [2] « كان يحفظ عشرة آلاف بيت من شعر هذيل ، بإعرابها وغريبها ومعانيها » . والذى بين أيدينا من هذا الشعر — فى أطول رواياته — لا يكاد يبلغ ثلاثة آلاف بيت . ولعل قائل هذا القول لا يقصد بالعدد الذى ذكره إلى التعيين الدقيق ، وإنما قصد إلى كثرة ما كان يحفظه الشافعى من هذا الشعر ، ومع ذلك فإن الشعر الذى بين أيدينا سيبقى أقل من

---

(١) ديوان الهذليين (ط . دار الكتب) ٢ : ٣٨ ، والكنية « أبو سعيد » مبهمة قد تعنى السكرى ، وقد تعنى الأصمعى ! !

(٢) ابن حجر : توالى التأسيس بمعالى ابن إدريس ، المطبعة العامرة ببولاق سنة ١٣٠١ ص : ٥٩ .

نصف ما كان يحفظه الشافعي . وكان الشافعي إماماً في الحفظ والرواية ، وكان صحاب الأدب يأتونه فيقرأون عليه الشعر فيفسره ، وذكر الأصمعي أنه قرأ شعر هذيل عليه [١] .

والدليل الثاني أن بعض العلماء قد استدركوا ما فات السكريَّ ذكره من شعر هذيل ، ومنهم أبو الفتح عثمان بن جنّي (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) الذي ألف « كتاب التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري — رحمه الله — وحجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك [٢] » .

وقد طُبع ديوان هذيل في مجموعتين : الأولى في أوربا ، والثانية في مصر.

الطبعة الأوربية : أما الطبعة الأوربية ، فقد جاءت في أربع مجموعات :

١ — « شرح أشعار الهذليين صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري» ، طبعت في لندن سنة ١٨٥٤ م ، وقد حققها وقدم لها بمقدمة قصيرة باللغة الإنجليزية المستشرق جودفري كوزجارتن .

٢ — « أشعار الهذليين ما بقي منها في النسخة اللغدونية غير مطبوع » ، طبعت في برلين سنة ١٨٨٤ م ، وفيها تعليقات وترجمة للشعر باللغة الألمانية للمستشرق فلهاوزن .

٣ — « ديوان أبي ذؤيب » ، وهو الجزء الأول من « مجموع دواوين من أشعار الهذليين » اعتنى بنشره واستخراجه لأول مرة المستشرق الألماني يوسف هل ، وطبعه في هانوفر سنة ١٩٢٦ .

٤ — « أشعار ساعدة بن جؤيّة وأبي خراش والمتنخل وأسامة بن الحارث » ، وهو الجزء الثاني من « مجموعة أشعار الهذليين » ، اعتنى بنشرها كذلك يوسف هل وطبعها في ليبزج سنة ١٩٣٣ .

وقد طُبعت المجموعتان الأولى والثانية عن نسخة مخطوطة مضبوطة قديمة

---

(١) المزهر ١ : ١٦٠ .

(٢) ياقوت ، إرشاد ١٢ : ١٠٩ .

محفوظة فى ليدن كتبت فى سنة ٥٢٩ ــ ٥٣٩ هـ ، كتبها محمد بن على بن إبراهيم ابن زبرج العتّابى (ولد سنة ٤٨٤ وتوفى سنة ٥٥٦ ، وكان إماماً فى النحو وعلوم العربية مشهوراً بجودة الخط مع الصحة والضبط ، قرأ النحو على أبى السعادات ابن الشجرى ، واللغة على الجواليقى)[١] ، وقد نقلها من نسخة بخط السمسمى (هو أبو الحسن على بن عبيد الله بن عبد الغفار ، كان صدوقاً صاحب خط متقن مرغوب فيه لتحقيقه ، تصدر ببغداد للرواية وأقرأ الأدب. توفى سنة ٤١٥)[٢]. وذكر العتابى فى آخر المخطوطة أنه قابلها أيضاً بنسخ أخرى ، منها نسخة بخط شيخه الجواليقى ، ونسخة بخط الحميدى[٣] .

وقد روى هذه النسخة أبو الحسن على بن عيسى بن على بن عبد الله الرمّانى (كان فى طبقة الفارسى والسيرافى ، وأخذ عن الزجّاج وابن السراج وابن دُرَيد ، ولد سنة ٢٩٦ وتوفى سنة ٣٨٤)[٤] ، عن أبى بكر أحمد بن محمد بن عاصم الحلوانى (بينه وبين أبى سعيد السكرى نسب قريب ، فروى عنه كتبه وكانت كثيراً ما توجد بخطه)[٥] ، عن أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى (المتوفى سنة ٢٧٥) .

فهذه النسخة إذن تنتهى فى رواياتها إلى السكرى ، غير أنها ناقصة ، والموجود منها هو الجزء الثانى فقط ، وهو المطبوع فى لندن سنة ١٨٥٤ م ، وفى برلين سنة ١٨٨٤ م .

ولهذه النسخة قيمة كبيرة لمن يدرس تاريخ الرواية وتسلسل الإسناد فى الشعر ، وهى تكشف ، فى وضوح ، عن طريقة السكرى فى الجمع بين الروايات المختلفة ، والنص عليها . وتظهر لنا صدق الأقدمين فى وصفهم السكرىّ بأنه

---

(١) إرشاد ١٨ : ٢٥١ .
(٢) إنباه الرواة ٢ : ٢٨٨ .
(٣) انظر وصف المخطوطة فى مقدمة « شرح أشعار الهذليين » ص : ٤ .
(٤) نزهة الألباء : ٢١٠ — ٢١١ ، وإنباه الرواة ٢ : ٢٩٤ .
(٥) ياقوت ، إرشاد ٤ : ١٨٧ — ١٨٨ ، وإنباه الرواة ١ : ٩٨ .

كان الغاية في الجمع . وتفصيل ذلك أننا وجدنا — بعد دراسة النسخة — أن السكرى قد اعتمد — فى جمعه ديوان هذيل — على ثلاث روايات ، هى الروايات التى نص عليها نصًّا صريحاً فى مطلع ديوان أبى ذؤيب ، وهى :

(ا) رواية بصرية : الرياشىّ ، عن الأصمعى ، عن عمارة بن أبى طرفة الهذلى [١] .

(ب) ورواية كوفية : محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابى وأبى عمرو الشيبانى .

(حـ) ورواية جمعت بين الروايتين : محمد بن الحسن الأحول [٢] ، عن عبد الله بن إبراهيم الجمحى [٣] .

ومع أن السكرى قد جمع بين هذه الروايات المختلفة إلا أنه كان حريصاً فى جمعه على ألا تضيع معالم كل رواية وعلى ألا تختلط بغيرها — فنصّ من أجل ذلك على كل قصيدة انفرد بها بعض هؤلاء الرواة دون غيرهم ، وترك القصائد التى أجمعوا جميعاً عليها من غير أن ينص على روايتها ، وحسبنا أمثلة قليلة توضح ذلك :

(ا) فقد أورد تسعة عشر بيتاً لمالك بن الحارث ، اتفق الرواة جميعاً على نسبة الأبيات التسعة الأولى منها له ثم اختلفوا بعد ذلك ، فمنهم من جعل بقيتها قصيدة منفصلة نسبوها لتأبط شرًّا يرد بها على مالك بن الحارث ، ومنهم من جعلها كلها قصيدة واحدة منسوبة إلى مالك ، ولذلك قال السكرى عند البيت التاسع منها [٤]

---

(١) لم نعثر لعمارة هذا على ترجمة فى كتب الطبقات والرجال ، غير أن الأصمعى قد روى عنه أخباراً وشعراً ، (انظر : ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢ : ٦٨ ، والشعر والشعراء ١ : ٢٧١) .

(٢) فى ديوان أبى ذؤيب ط هانوفر ص ١ « محمد بن الحسن » فقط ، وقد استقصينا من اسمه محمد بن الحسن ممن يصح أن يروى عنه السكرى ، فرجحنا أنه : محمد بن الحسن بن دينار الأحول ، وهو ممن جمع بين المذهبين وخلطهما (ابن النديم : الفهرست : ١١٧) وكان العلماء يقرأون عليه دواوين الشعراء فى سنة خمسين ومائتين (ياقوت : إرشاد ١٨ : ١٢٥) وجمع دواوين مائة وعشرين شاعراً (المصدر السابق ١٨ : ١٢٦) .

(٣) ذكره الجاحظ فى الحيوان ٥ : ٥٨٧ ، وروى عنه خبراً حدثه به .

(٤) شرح أشعار الهذليين ط . لندن ص : ٤ .

« هذا آخر ما فى رواية الجمحى وأبى عبد الله ، قالا : فأجابه تأبط شرًّا الفهمى ثم العدوى ؛ وأما أصحاب الأصمعى فيجعلونها قصيدة واحدة ويروونها لمالك ابن الحارث إلى آخرها » .

(ب) وأورد قصيدة لحبيب الأعلم ، وقال فى مقدمتها[١] : « لم يروها أبو نصر ، ولا أبو عبد الله ، ولا الأخفش ورواها الباهلى والجمحى » .

(حـ) وأورد قصيدة لساعدة بن العجلان ، وقال فى مقدمتها[٢] : « رواها الأصمعى ، ولم يروها ابن الأعرابى » .

(د) وأورد عشرة أبيات لساعدة بن العجلان ، قال عند البيت السادس منها[٣] : « هذا آخرها فى رواية الأصمعى ، والباقى عن الجحمى والباهلى ونصران وأبى عمرو ، قال أبو نصر : لم يرو الأصمعى من هاهنا إلى آخرها » .

(هـ) وأورد قصيدة لأبى جندب ، قال عند البيت الرابع منها[٤] : « هذا أولها عند أبى عبيدة » .

(و) وأورد قصيدة لأبى جندب أيضاً قال فى مقدمتها[٥] : « رواها الأصمعى ، ولم يروها ابن الأعرابى ولا أبو عمرو ولا الجمحى » .

(ز) وقصيدة أخرى لأبى جندب قال فى مقدمتها[٦] : « قال الأصمعى : وتروى لأبى ذؤيب » .

(ح) وقصيدة رابعة لأبى جندب قال فى مقدمتها[٧] : « لم يروها أبو عبد الله ولا أبو نصر ولا الأخفش ، ورواها نصران والجمحى » .

---

(١) شرح أشعار الهذليين : ٦٦ .
(٢) المصدر السابق : ٧٠ .
(٣) المصدر السابق : ٧٧ .
(٤) المصدر السابق : ٨٠ .
(٥) المصدر السابق : ٨٣ .
(٦) المصدر السابق : ٩٤ .
(٧) المصدر السابق : ٩٦ .

والأمثلة على ذلك كثيرة ليس من غايتنا استقصاؤها ، وإنما بحسبنا أمثلة توضح ما ذكرنا . وقد بالغ السكرى فى التحرى والتحقيق ، فلم يكتف بالنص على رواية القصيدة فى جملتها ، وإنما زاد على ذلك أن نص على رواية الأبيات التى اختلفوا عليها ؛ فكان يذكر البيت — فى القصيدة — ثم ينص على أن فلاناً لم يروه ، وأن فلاناً رواه ، فمن ذلك :

(ا) أنه أورد بيتاً فى قصيدة لصخر الغى ثم قال[١] : « لم يرو هذا البيت والبيتين بعده الأصمعى ، ورواها الجمحى وابن الأعرابى » .

(ب) وأورد بيتاً فى قصيدة أخرى لصخر أيضاً ، ثم قال [٢] : « رواه أبو عبد الله والجمحى » .

(حـ) وأورد بيتاً لأبى المثلّم ، ثم قال[٣] : « لم يرو هذا البيت والبيتين اللذين بعده أحد غير الباهلى عن الأصمعى ، ولم يرو هذا أبو عمرو ولا أبو عبد الله ولا أبو نصر ولا الأخفش » .

(د) وأورد بيتاً فى قصيدة لصخر الغىّ ، وقال[٤] : « لم يرو هذا البيت والبيت الذى بعده الأصمعى وأبو عبد الله » .

(هـ) وأورد بيتاً فى قصيدة لأبى المثلم ، وقال[٥] : « رواه الجمحى وأبو عمرو وأبو عبد الله » .

(و) وذكر بيتاً آخر من القصيدة نفسها وقال[٦] : « لم يروه والبيت الذى بعده إلا أبو عمرو وأبو عبد الله والجمحى » .

(ز) وأورد أرجوزة لصخر الغىّ قال عنها[٧] : « وروى الأصمعى من

---

(١) شرح أشعار الهذليين : ١٦ .
(٢) المصدر السابق : ١٩ .
(٣) المصدر السابق : ٢١ .
(٤) المصدر السابق : ٢٥ .
(٥) المصدر السابق : ٢٧ .
(٦) المصدر السابق : ٣٠ .
(٧) المصدر السابق : ٣٢ .

هذه الأرجوزة ثلاثة أبيات عليها صح صح ، وسائرها عن أبي عبدالله والجمحي ».

(ح) وقال عن بيت فى قصيدة أخرى لصخر[١]: « لم يروه الأصمعى ورواه أبو عبد الله والجمحى » .

(ط) وقال عن بيت آخر فى القصيدة نفسها[٢]: « لم يروه إلا عبد الله وأبو عمرو والجمحى » .

(ى) وأورد بيتاً فى قصيدة لعامر بن العجلان ثم قال[٣]: « لم يروه والبيت الذى بعده الأصمعى ، ورواهما أبو عمرو والجمحى وأبو عبد الله » .

(ك) وأورد بيتاً فى قصيدة لأبى جندب ثم قال [٤]: « لم يروه أبو عبد الله ولا أبو نصر ولا الأخفش ورواه الجمحى وأبو عمرو والأصمعى . . »

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً أيضاً ، وقد اجتزأنا منها بما قدمنا ، وما نحسبها إلا واضحة الدلالة على ما ذكرناه من مبالغة السكرى فى التحرى والتحقيق ، بل إن السكرى لم يكتف بالنص على رواية القصيدة فى جملتها ، ولا بالنص على رواية الأبيات التى اختلف عليها الرواة ، وإنما ذهب إلى أبعد من ذلك فى تحريه ودقته ، فقد نص ، فى داخل البيت نفسه ، على روايات ألفاظه المختلفة ، فذكر فى كثير من الأبيات رواية الأصمعى أو أبى عمرو أو ابن الأعرابى أو ابن حبيب أو الجمحى أو الأخفش لهذه اللفظة أو لتلك ، وما نحسب أن المجال هنا يتسع لعرض أمثلة من ذلك ، وبحسبنا أن نفتح كتاب « شرح أشعار الهذليين » على أية صفحة لنجد الأمثلة وافرة على ذلك .

وقد قدم السكرى بذكره رواية الديوان فى مجموعه ، ثم رواية القصيدة فى جملتها ، ثم رواية الأبيات المفردة فى القصيدة الواحدة ، ثم رواية الألفاظ فى البيت الواحد — قدم السكرى بذلك كله للدارس مادة خصبة ، فيستطيع الدارس

---

(١) شرح أشعار الهذليين : ٤٧ .
(٢) المصدر السابق : ٤٨ .
(٣) المصدر السابق : ٥٠ .
(٤) المصدر السابق : ٨٧ .

المتتبع ، إذا اهتدى بضوء هذه الروايات ، أن يستخرج رواية الديوان البصرية : أى رواية الأصمعى ، ويفردها وحدها ، ويستطيع كذلك أن يستخرج رواية الديوان الكوفية : أى رواية ابن الأعرابى وأبى عمرو الشيبانى ، ويفردها وحدها ، ثم يثبت ما بينهما من اختلاف واتفاق ، وينتهى من كل ذلك إلى دراسة ممتعة لهذا الديوان .

ونحسب أننا نزيد الأمر وضوحاً إذا لخصنا إسناد هذه النسخة الثمينة ورواياتها فى الجدول الآتى :

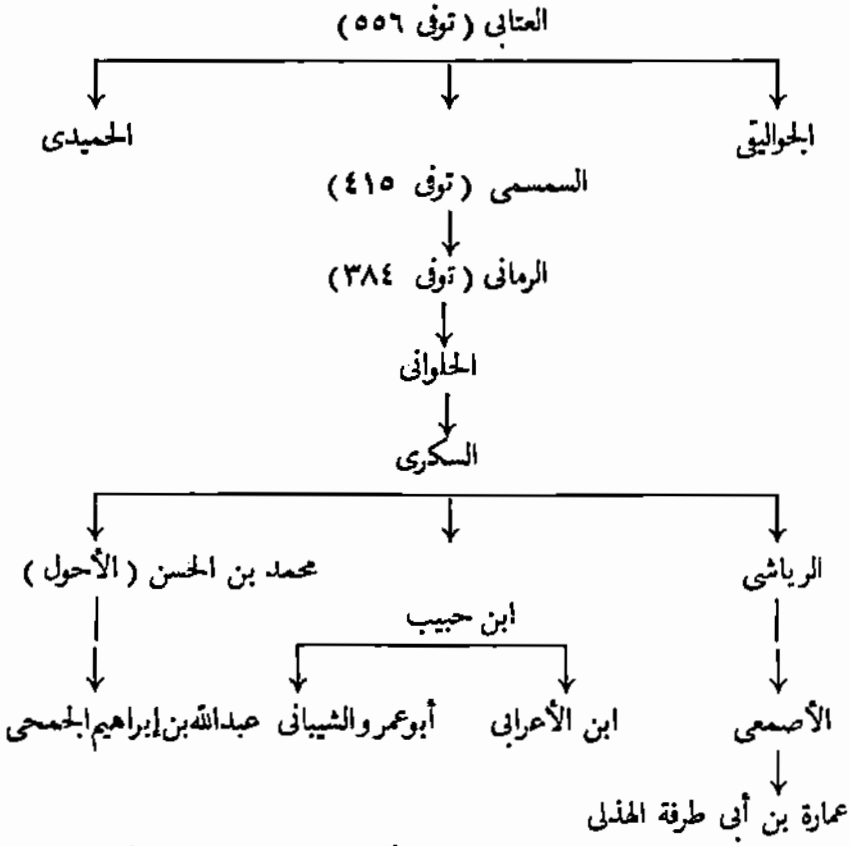

وبعد ؛ فهذه هى النسخة الليدنية التى طُبعت منها المجموعتان الأولى والثانية من الطبعة الأوربية ، وأما المجموعة الثالثة ، وهى « ديوان أبى ذؤيب » التى طبعها

يوسف هل فى هانوفر سنة ١٩٢٦ ، فمع أنه طبعها عن نسخة فى دار الكتب — رقمها ١٩ أدب ش — إلا أن هذه النسخة أيضاً من رواية السكرى ، ونحن نرجح أنها منقولة عن النسخة الليدنية أو عن نسخة منقولة عنها ، فتكون بذلك جزءاً من القسم الأول المفقود من النسخة الليدنية ، وترجيحنا قائم على السببين التاليين :

(ا) أن السكرى يذكر فى مطلع الديوان الرواة الذين أخذ عنهم ، وهم أنفسهم الذين ذكرناهم فى النسخة الليدنية وكانوا ثلاثة أصناف : رواة بصريين : الرياشى عن الأصمعى عن عمارة بن أبى طرفة الهذلى ؛ ورواة كوفيين : ابن حبيب عن ابن الأعرابى وأبى عمرو الشيبانى ؛ ورواة جمعوا بين المذهبين : محمد بن الحسن (الأحول) عن عبد الله بن إبراهيم الجمحى .

(ب) جاء فى هذه النسخة أيضاً أنها أخذت عن نسخة الحلوانى ، وذلك قوله[1]: « ليس ذكر الأصمعى ها هنا فى كتاب الحلوانى » .

ومن أجل هذا كنا فى غنى عن أن نتحدث عن هذه النسخة إذ أن ما ذكرناه عن النسخة السابقة ينطبق عليها أيضاً .

وأما المجموعة الأخيرة من الطبعة الأوربية ، وهى « مجموعة أشعار الهذليين — الجزء الثانى » المطبوعة فى ليبزج سنة ١٩٣٣ بتحقيق يوسف هل ، وتشتمل على أشعار ساعدة ابن جؤية وأبى خراش والمتنخل وأسامة بن الحارث — فتفقة فى إيراد الشعر وترتيبه وشرحه مع ما ورد من أشعار هؤلاء الشعراء الأربعة فى طبعة دار الكتب ، ولذلك سنستغنى عن الحديث عنها بما سنورده من حديث عن هذه الطبعة .

طبعة دار الكتب :

وأما طبعة دار الكتب فمأخوذة من نسخة خطية محفوظة فى الدار برقم ٦ أدب ش ، مكتوبة بخط مغربى ، وكانت ملك الشيخ محمد الشنقيطى ، وقد كتب

(١) ديوان أبى ذؤيب : ٢٥ .

عليها « ملك هذا المجموع ... محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي المدني ثم المكي ، ثم وقفه على عصبته بعده كسائر كتبه وقفاً مؤبداً ، فمن بدله أو غيره فإثمه عليه والله تعالى حسيبه ، وكتبه مالكه واقفه محمد محمود سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف » . وقد كتبت هذه النسخة من أصل بخط يحيى بن المهدى الحسيني كتبه سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة .

وفي أول الأصل هذه المقدمة « كتاب ديوان الهذليين ، وهو يشتمل على ثمانية أجزاء : خمسة منها من رواية أبي سعيد عن الأصمعي ، وهي الثاني والثالث والرابع والخامس والسابع . ولم نظفر من نسخة رواية أبي سعيد إلا بهذه الخمسة ، وضاع الثاني ، وهي ثلاثة من نسخة الأصل ، ثم وقفنا بعد ذلك على نسخة أخرى ليست من رواية أبي سعيد — وهي كتاب واحد غير مجزأ يخالف نسخة رواية أبي سعيد في الترتيب وفي رواية بعض الأشعار ونسبتها إلى قائليها ، فأخذنا ماوجدناه فيها مما ليس في رواية أبي سعيد ، وقسمناه إلى ثلاثة أجزاء وهي : الأول والسادس والثامن ، وجعلناه تماماً لهذه النسخة ، وألحقنا كل شيء من ذلك بموضعه اللائق به حسبما أمكن ، وبالله تعالى التوفيق » .

ومع اختلاط هذه النسخة وتداخلها فإن الشرح فيها مختصر موجز ، والرواية قليلة لا تكاد تسعف الدارس ، وذكر أبي سعيد فيها فيه لبس وإبهام ، فهو أحياناً أبو سعيد السكري ، كما في قوله[1] : « قال أبو سعيد . . . وحدثني الرياشي قال : قال الأصمعي . . . » ، وأحياناً أخرى أبو سعيد عبد الملك ابن قُرَيب الأصمعي ، ونستدل على ذلك ممن يروي عنهم ، وذلك مثل قوله[2] : « وأنشدنا أبو سعيد . . . قال : وأنشدنا أبو عمرو بن العلاء » ، وكثيراً ما يورد شروحاً أو استشهادات شعرية يرويها عن أبي عمرو بن العلاء . ومثل قوله[3] : « وسمعت

---

(١) ديوان الهذليين ٢ : ٢٣٦ .
(٢) المصدر السابق ١ : ٢١٥ .
(٣) المصدر السابق ١ : ١٨٧ و ٢ : ٩٢ .

عيسى بن عمر يقول » ، أو « حدثنى عيسى بن عمر »[١] ، وقوله[٢]: « قال أبو سعيد : وحدثنا شعبة عن سماك بن حرب » . وقوله[٣]: « قال أبو سعيد : سألت ابن أبى طرفة عن هذا فلم يعرفه ، ولم يكن عند أبى عمرو فيها إسناد » ؛ وقوله[٤]: « قال أبو سعيد . . . وأنشدنا الهذلى » .

فهذه كلها قاطعة الدلالة على أن أبا سعيد هنا هو الأصمعى . وهذه الأمثلة التى قدمناها تكشف عن المصادر التى استقى منها الأصمعى وروى عنها . غير أننا لا نريد أن نمضى فى دراسة هذه النسخة بأكثر من هذا فقد أغنتنا عنها النسخة الليدنية التى درسناها آنفاً .

---

(١) ديوان الهذليين ١ : ١٤٩ ، ١٨٧ .
(٢) المصدر السابق ١ : ٢١٣ .
(٣) المصدر السابق ١ : ١٥٩ .
(٤) المصدر السابق ٣ : ١٧ .

الفصل الثالث

المختارات

١

أما مختارات الشعر العربى فأقدم ما وصل إلينا منها المجموعة التى اختارها المفضل بن محمد الضبى — رأس علماء الكوفة فى عصره — والتى عرفت بالمفضليات. ولم يبلغنا أن أحداً قبل المفضل اختار شيئاً من الشعر وجمعه فى مجموعة مستقلة — إلا ما قدمناه من أمر المعلقات .

وتحتوى المفضليات التى بين أيدينا على مائة وست وعشرين قصيدة — أضيف إليها أربع قصائد وجدت فى إحدى النسخ — لسبعة وستين شاعراً ، منهم ستة شعراء إسلاميون ، وأربعة عشر مخضرمون ، والباقون وهم سبعة وأربعون شاعراً جاهليون لم يدركوا الإسلام .

ويبدو أن كثيرين من تلامذة المفضل رووا هذه المختارات عنه ، ولذلك اضطربت رواياتها بعض الشىء، وأصح رواياتها هى التى رواها أبو عبد الله محمد ابن زياد الأعرابى — تلميذ المفضل وربيبه ، قال ابن النديم [1] « وهى مائة وثمانية وعشرون قصيدة ، وقد تزيد وتنقص ، وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه ، والصحيحة التى رواها عنه ابن الأعرابى . . » . ولم يشرح المفضل هذه المختارات ، إذ أن المعروف عنه أنه « إنما كان يروى شعراً مجرداً ، ولم يكن بالعالم بالنحو ولا كان يشدو منه شيئاً[2] » ، « وكان يقول : إنى لا أحسن شيئاً

---

(١) الفهرست : ١٠٢ .

(٢) مراتب النحويين : ١١٥ .

من الغريب ولا من المعانى ولا تفسير الشعر»[1] .

وما فى هذه المفضليات من شرح إنما صنعه أبو محمد القاسم بن محمد ابن بشار الأنبارى (المتوفى سنة ٣٠٤) وقد أخذها إملاءً مجلساً مجلساً عن أبى عكرمة عامر بن عمران الضبى (المتوفى سنة ٢٥٠) ، وأخذها أبو عكرمة عن ابن الأعرابى (المتوفى سنة ٢٣٢) ؛ ولم يكتف أبو محمد ابن الأنبارى بذلك ، وإنما كان يرجع إلى علماء آخرين مثل : أبى عمرو بندار الكرخى ، وأبى بكر العبدى ، وأبى عبد الله محمد بن رستم ، وأبى الحسن على بن سنان الطوسى ، فيسألهم عن الشىء بعد الشىء منها ؛ فلما فرغ منها كلها عرضها على أبى جعفر أحمد ابن عبيد بن ناصح (المتوفى سنة ٢٧٣) وقرأها عليه : شعرَها وغريبها . فلما تمّ له ذلك أقرأها تلامذته ، فكان ممن قرأها عليه ابنه أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى ، وقرأها على أبى بكر هذا أبو بكر أحمد بن محمد الجراح الخزاز ؛ وبذلك تمت لهذه المجموعة روايتها فى إسناد متصل من ابن الجراح إلى المفضل الضبى . وقد فُصِّل ذلك كله تفصيلاً دقيقاً فى مطلع النسخة التى بين أيدينا ، وهذا نصه « أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الجراح الخزاز قراءةً عليه ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى ، قال : قرأت على أبى هذا الكتاب : الشعرَ والتفسيرَ ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وسلم كثيراً سرمداً دائماً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . قال أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى : أملى علينا عامر بن عمران أبو عكرمة الضبى هذه القصائد المختارة المنسوبة إلى المفضل بن محمد الضبى إملاءً مجلساً مجلساً من أولها إلى آخرها ، وذكر أنه أخذها عن أبى عبد الله محمد بن زياد الأعرابى ، وذكر أنه أخذها عن المفضل الضبى . قال أبو محمد : وكنت أسأل أبا عمرو بندار الكرخى ، وأبا بكر العبدى ، وأبا عبد الله محمد بن رستم ، والطوسى وغيرهم ، عن الشىء

---

(١) مراتب النحويين : ١١٤ .

بعد الشيء منها ، فيزيدونني على رواية أبي عكرمة البيتَ والتفسيرَ ، وأنا أذكر ذلك في موضعه إن شاء الله . فلما فرغنا منها صرت إلى أبي جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح فقرأتها عليه من أولها إلى آخرها شعرها وغريبها ، فأنكر على أبي عكرمة أشياء أنا مبيِّنها في مواضعها ومُسند إلى أبي جعفر ما فسَّر وروى في موضعه إن شاء الله ؛ والمعين الله جل وعز والحول له والقوة به . وعمود الكتاب على نسق أبي عكرمة وروايته » .

ومع هذا الإسناد ، والرواية الكاملة ، والتحقيق والاستقصاء اللذين بلغا الغاية في الدقة ، فإن هذه المجموعة من المختارات لم تسلم من الشك في عدد قصائدها وفي أنها جميعاً مما روى المفضل . وتفصيل ذلك : أن أبا علي القالي قال[1] : « وقرأت على أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش في المفضليات قصيدة عبديغوث بن وقاص الحارثي ... وقال أبو الحسن علي بن سليمان : حدثني أبو جعفر محمد بن الليث الأصفهاني قال : أملى علينا أبو عكرمة الضبي المفضليات من أولها إلى آخرها ، وذكر أن المفضل أخرج منها ثمانين قصيدة للمهدي ، وقرئت بعدُ على الأصمعي فصارت مائة وعشرين . قال أبو الحسن : أخبرنا أبو العباس ثعلب : أن أبا العالية الأنطاكي والسدري ، وعافية بن شبيب — وهؤلاء كلهم بصريون من أصحاب الأصمعي — أخبروه أنهم قرأوا عليه المفضليات ، ثم استقرأوا الشعر فأخذوا من كل شاعر خيار شعره ، وضموه إلى المفضليات ، وسألوه عما فيه مما أشكل عليهم من معاني الشعر وغريبه فكثرت جداً » .

ونحن نرى من هذا النص أموراً ، منها : أن ثمة تلميذاً غير أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، أخذ المفضليات إملاءً عن أبي عكرمة ، وهو أبو جعفر محمد بن الليث الأصفهاني . وأن أبا جعفر هذا قال إن أبا عكرمة ذكر أن أصل المفضليات التي اختارها المفضل ثمانون قصيدة فقط ، ثم قرئت

---

(١) الأمالي ٣ : ١٣٠ .

على الأصمعى فصارت مائة وعشرين . ثم إن ثعلباً روى عن ثلاثة من أصحاب الأصمعى أنهم قرأوا عليه المفضليات ، وأنهم بعد ذلك استقرأوا الشعر فأخذوا من كل شاعر خيار شعره وضموه إلى المفضليات — وسألوا الأصمعى عن معانيه وغريبه ، وبذلك كثرت المفضليات جداً .

فإذا صحت هذه الرواية ، فمعنى ذلك أن ثلثى القصائد المذكورة فى هذه المجموعة فقط من اختيار المفضل ، وأن سائرها من الزيادات التى أضافها الأصمعى وتلاميذه . غير أن فى هذا الخبر ما يستوقف الباحث ، وذلك أن أبا محمد القاسم ابن محمد بن بشار الأنبارى قد أخذ هذه المفضليات إملاء مجلساً مجلساً عن أبى عكرمة الضبى ، فلو أن أبا عكرمة ذكر فى مجالسه « أن المفضل أخرج ثمانين قصيدة للمهدى ، وقرئت بعدُ على الأصمعى فصارت مائة وعشرين » لسمعها ابن الأنبارى — كما سمعها محمد بن الليث الأصفهانى فيما روى الأخفش — ولأثبتها فى هذه المقدمة المفصلة التى بيّن لنا فيها كيف أخذ المفضليات وشرحها . هذه واحدة ؛ ثم إن أبا عكرمة ذكر أنه أخذ هذه القصائد عن ابن الأعرابى — ما عدا ستاً منها وهى فى المطبوعة بتحقيق ليل رقم ٣ و١٣ و١٦ و ١٩ و ٣٠ و ٣٢ ، إذ أن ابن الأنبارى لم يروها عن أبى عكرمة وإنما ذكر أنه رواها عن أبى جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح ، وأبو جعفر هذا سمع ابن الأعرابى وأخذ عنه — وقد عاصر ابنُ الأعرابى الأصمعىّ ، ولكنه كان شديد العصبية للكوفيين ، ولشيخه المفضل خاصة ، خصماً للأصمعى كثير النيل منه والتنقص له . فإذا كانت هذه القصائد الست والعشرون كلها رواها ابن الأعرابى عن المفضل كما ذكر ابن الأنبارى ؛ فإن من غير المحتمل أن يكون ابن الأعرابى قد روى — زيادة على ما اختاره المفضل — الإضافات التى زادها الأصمعى وتلامذته . هذه ثانية ؛ وأما الثالثة : فإن ابن النديم قد ذكر فى كتابه (الذى كتبه سنة ٣٧٧) أن المفضليات[1] « مائة وثمانية وعشرون قصيدة . . . والصحيحة التى رواها عنه ابن الأعرابى » .

---

(١) الفهرست : ١٠٢ .

وقد تنبه ليّل لكل ذلك وأورده فى مقدمة طبعته من المفضليات [١] ، وانتهى من ذلك إلى قوله « ولهذه الأسباب يبدو أننا لا نستطيع أن نسلم بالخبر الذى رواه الأخفش ؛ ومع ذلك فإن هذه المسألة ليست مما يمكن حله حلاً قاطعاً ؛ أما مسألة صحة هذا الشعر ونسبة قصائده إلى قائليها ، فإن مكانة الأصمعى فى الرواية والحكم على مثل هذه الأمور لا تقل فى قيمتها وعلوها عن مكانة المفضل ».

ولكن يبدو أن الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون لم يطمئنا إلى ما اطمأن إليه ليّل ، وإنما أعادا — فى طبعتهما للمفضليات — هذا الموضوع جذعاً ، فأكدا « أن هذه الثمانين هى أصل الكتاب عن المفضل ، لم يتجاوزها ، ثم قرئت على الأصمعى ، فأقرها وزادها قصائد ، وزاد فى بعض قصائدها أبياتاً ، واختار قصائد أخر . ثم جاء مَن بعد الأصمعى ، وزادوا فى القصائد — أصلها ومزيدها — أبياتاً دخلت فى روايتى المفضل والأصمعى ، حتى اختلطت كلها ، فلم يكن ميسوراً أن يجزم جازم بما كان أصلاً وما كان مزيداً ، إلا قليلاً ، ونحن موقنون أن السبعين التى بُنى عليها الكتاب ، والعشرة التى زادها المفضل ، ليست الثمانين الأولى من هذه المجموعة ، وإنما هى ثمانون قصيدة مفرقة فى الكتاب ، لا نوقن فى قصيدة بعينها أنها منها أو من غيرها إلا قليلاً أيضاً [٢] » .

وواضح أن هذا الكلام مأخوذ من الخبر الذى رواه الأخفش وأورده القالى فى أماليه ، ولكن الأستاذين المحققين ، قد بحثا بحثاً طويلاً ، فيه استقصاء دقيق ، عن أدلة يؤيدان بها هذا الخبر ، وأن قصائد من الأصمعيات أدخلت فى المفضليات . وقد فصلا القول فى ذلك فى مقدمة طبعتهما ، ولسنا بحاجة إلى أن نعيده هنا فليراجع فى موطنه ؛ غير أننا قد نذكر بعضه موجزاً فى الحديث التالى .

---

(١) ص : ١٥ — ١٦ .

(٢) المفضليات ط . دار المعارف : ١٢ .

٢

أما الأصمعيات فاثنتان وتسعون قصيدة ومقطعة [١] ، لواحد وسبعين شاعراً ؛ منهم ستة شعراء إسلاميون ، وأربعة عشر شاعراً مخضرمون ، وأربعة وأربعون جاهليون ، وسبعة مجهولون ليست لهم فى المظان تراجم تكشف عن عصرهم .

وليس فى النسخة الخطية التى طبع عنها وليم بن الورد الطبعة الأوربية ، ولا فى النسخة الخطية المحفوظة فى دار الكتب التى طبع عنها الأستاذان عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر الطبعة المصرية — إسناد يكشف عن الرواية التى انتقلت بها هذه المختارات من الأصمعى . وذلك — فى رأينا — عيب النسختين الخطيتين نفسهما ، أو عيب النسخة أو النسخ التى نقلت عنها هاتان النسختان ؛ وليس عيباً فى تاريخ الرواية الأدبية ، لأننا قد رأينا حرص العلماء الرواة على ذكر الإسناد الذى انتقلت إليهم به الدواوين والمجموعات الشعرية ؛ ولو وصلت إلينا النسخ الأصلية القديمة التى كتبها العلماء أنفسهم لرأينا فى كل نسخة — على عادتهم التى لا يشذون عنها — إسناداً متصلاً ، ورواية تامة يكونان مصدراً خصباً للدراسة والبحث .

أما إسناد الأصمعى عمن قبله ، فقد ذكرنا من قبل أن الأصمعى ومن فى طبقته من علماء المدرستين : البصرية والكوفية ، كانوا الطبقة الأولى من الرواة العلماء ، وأن من بعدهم قد روى عنهم وأسند روايته حتى ارتفعت إليهم ثم انتهت عندهم ، وأنهم هم لم يكونوا يُسندون إلا فى القليل النادر ، وأضفنا إلى ذلك أن إغفال الطبقة الأولى للإسناد لا يعنى انقطاع الرواية ، بل لقد وضحنا أن الرواية كانت متصلة مسلسلة من آخر العصر الجاهلى وصدر الإسلام حتى

---

(١) ذلك عددها فى الطبعة المصرية بتحقيق الأستاذين عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر ، وأما الطبعة الأوربية بتحقيق وليم بن الورد فليس فيها إلا سبع وسبعون قصيدة ومقطعة .

زمن هؤلاء الرواة العلماء من رجال الطبقة الأولى ، لم تنقطع خلال هذا الزمن فترة مهما تكن قصيرة . وذكرنا فى مواطن متفرقة من هذا البحث أن مصادر هذه الطبقة الأولى من العلماء كانت ثلاثة : الصحف والمدونات التى وصلت إليهم من العصور السابقة ؛ والأخذ عن الشيوخ العلماء من رجال المدرسة الواحدة أو المدرستين معاً بالرواية الشفهية وبالقراءة وبالإملاء ، ثم الرواية عن الرواة من الأعراب . ثم قلنا إن هؤلاء العلماء كانوا يجمعون كل ذلك وينقدونه ويمحصونه ثم يبقون منه ما رجحت لهم صحته ، فيدونونه فى نسختهم الخاصة التى يروونها عنهم تلاميذهم .

ومع هذا كله ، فقد كان علماء الطبقة الأولى يسندون أحياناً ، وكذلك فعل الأصمعى فى بعض مختاراته هذه ، فنص فى ست منها على أنه رواها عن أبى عمرو بن العلاء وهى :

١ — « قال المنخل بن عامر . . . اليشكرى ، قال أبو سعيد : قرأتها على أبى عمرو بن العلاء » (١) .

٢ — « قال أبو الفضل الكنانى ، قال أبو سعيد : أنشدنيها أبو عمرو بن العلاء » (٢) .

٣ — « قال أبو سعيد ، قال أبو عمرو بن العلاء : قال عمرو بن الأسود هذه القصيدة يوم ذى قار » (٣) .

٤ — « قال أبو سعيد : سمعت أبا عمرو بن العلاء ينشد هذه القصيدة لامرئ القيس » (٤) .

٥ — « قال الأصمعى ، سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : ساب يزيد

---

(١) الأصمعيات — ط . دار المعارف : ٥٢ .
(٢) المصدر السابق : ٧٥ .
(٣) المصدر السابق : ٧٧ .
(٤) المصدر السابق : ١٤٢ .

ابن الصعق رجلاً من بنى أسد ، فقال يزيد فى ذلك ... ، فأجابه الأسدى [١] ».

٦ – « وأنشدنى أبو عمرو بن العلاء لطرفة بن العبد . . [٢] » .

ونص فى واحدة منها على أنه رواها عن خلف الأحمر « قال عبد الله بن جِنْح النُّكْرى – قال الأصمعى : أنشدنيها خلف الأحمر [٣] » .

ونص فى أخرى على أنه رواها عن أعرابى سماه من أهل نجد عن أبيه عن الشاعر نفسه ، وذلك قوله [٤] : « قال أبو سعيد ، عن حبيب بن شوذب ، رجل من أهل نجد مُسنّ ، عن أبيه ، أنشدنيها كعب بن سعد مواقفاً لى براذان » .

وكذلك نص فى واحدة على أنه رواها عن راوية من قبيلة الشاعر نفسه ، وذلك قوله [٥] : « قال الأصمعى : حدثنا رجل من بنى رياح قال : جاء رجل إلى الأخوص والأبيرد – وهما من ولد عتاب بن هرمى – يطلب هِناءً ، فقالا : إن بلّغت عنا سُحيم بن وثيل بيتاً وأتيتنا بجوابه . قال : نعم ، هاتياه . فأنشداه :

إنَّ بُدَاهَتِى وَجِــرَاء حَوْلِى لَذُو شِقٍّ عَلَى الحُطَمِ الحَرُونِ

فلما أنشده إياه أخذ عصاه ، وجعل يهدج فى الوادى ويقول :

أنا ابنُ جَلا وَطلاع الثنايا . . . . (القصيدة)

ونص فى الأخيرة منها على أنه أخذها عن الحارث بن مطرف ، وذلك قوله [٦] : « قال الأصمعى ، خبرنى الحارث بن مطرف قال : استبّ حجل ومعاوية بن شكل عند بعض الملوك . . فقال حجل » .

بقى أمر آخر يتصل برواية الأصمعيات ، وهو ما ذكره ابن النديم فى

---

(١) الأصمعيات : ١٦١ – ١٦٢ .

(٢) المصدر السابق : ١٦٦ .

(٣) المصدر السابق : ١٢٠ .

(٤) المصدر السابق : ٩٤ .

(٥) المصدر السابق : ٣ – ٥ .

(٦) المصدر السابق : ١٥٣ – ١٥٤ .

قوله[١]: « وعمل الأصمعى قطعة كبيرة من أشعار العرب ليست بالمرضية عند العلماء لقلة غريبها واختصار روايتها » . وفى هذا الحكم — الذى انفرد بذكره ابن النديم — إشكالان يبدو أنه لا سبيل إلى حلهما حلاً قاطعاً يقينياً . الأول : ما الذى يقصده ابن النديم بهذه القطعة الكبيرة من أشعار العرب ؟ أهى القصائد التى اختارها الأصمعى فنسبت إليه وسميت الأصمعيات ؟ أم هى جميع الدواوين الشعرية التى عملها الأصمعى ؟ ولقد كان من الجائز أن يكون المقصود بها الأصمعيات — كما ذهب إلى ذلك ليل[٢] — لولا أمران ، الأول : أنه وصفها بأنها « قطعة كبيرة » والأصمعيات ليست كذلك ، أو على الأقل ما بين أيدينا منها ليس كذلك ، والمفضليات أكبر منها كثيراً[٣] . أما الدواوين التى عملها الأصمعى فهى « قطعة كبيرة » حقاً . ثم إن ابن النديم يستخدم أحياناً لفظة « القطعة » من الأشعار ويقصد بها دواوين الشعر ، فمن ذلك قوله عن السكرى إنه عمل « قطعة من القبائل »[٤] . والأمر الثانى الذى يجعلنا نشك فى أنه يريد بقوله هذا الأصمعيات هو أنه ذكره فى آخر حديثه عن الأصمعى ، بعد أن ذكر أسماء كتبه فى اللغة والحديث ، ولم يذكر له مما عمله من الشعر إلا كتاب « القصائد الست ! »[٥] ، فلعله أغفل ذكر الدواوين التى عملها الأصمعى ليجملها فى هذا اللفظ العام « قطعة كبيرة من أشعار العرب » .

هذا هو الإشكال الأول فى نص ابن النديم ، أما الإشكال الثانى فى قوله « واختصار روايتها » . ونحن نرى أن « الرواية » هنا قد تعنى أحد أمرين : إما إسناد الرواية ، وإما الشعر المروى نفسه . فإذا كان المقصود : الإسناد ، فله وجهان أيضاً :

---

(١) الفهرست : ٨٣ .

(٢) مقدمة المفضليات ٢ : ١٦ .

(٣) الأصمعيات ٩٢ قصيدة فيها ١٤٣٩ بيتاً ، والمفضليات : ١٣٠ قصيدة فيها ٢٦٦٤ بيتاً .

(٤) الفهرست : ١١٧ .

(٥) المصدر السابق : ٨٢ .

١ — إسناد الأصمعى عمن قبله من العلماء الذين أخذ عنهم ؛ وقد فهمه بهذا المعنى ليسّل فى مقدمة طبعة المفضليات[1] . غير أننا نستبعد أن يكون هذا المعنى هو الذى ذهب إليه ابن النديم ، لأننا قد عرفنا من دراستنا المفصلة أن علماء الطبقة الأولى كانوا منتهى الإسناد ، وأنهم لم يكونوا يسندون إلى من قبلهم من العلماء إلا فى القليل النادر ، وأن ذلك لم يكن عيباً ولا نقصاً فيهم ، ولا فيما يروون حتى تكون « ليست بالمرضية عند العلماء » .

٢ — إسناد الرواية بعد الأصمعى حتى زمن ابن النديم ، ويكون معنى ذلك — إذا كان المقصود به الأصمعيات — أن هذه القصائد المختارة لم يروها عن الأصمعى تلامذته ، وأن إسناد الرواية بعد الأصمعى غير مكتمل الحلقات .

وأما الأمر الثانى الذى قد تعنيه لفظة « الرواية » فى هذا النص ، وهو الشعر المروى نفسه ، فلعل معناه — إذا كان المقصود به الأصمعيات — أن الأصمعى حين اختار هذه الأشعار ، لم يرو فى كثير منها القصيدة كاملة ، وإنما اختار منها أبياتاً أو قطعة صغيرة ، وأغفل ذكر سائرها . وفى الأصمعيات التى بين أيدينا شعراء لم يورد لهم الأصمعى إلا بيتين أو ثلاثة أو أربعة . فلعل هذا معنى قوله « اختصار روايتها » .

٣

وثمة ضرب آخر من المختارات يختلف عن المفضليات والأصمعيات فى أنه بُنى على أساس معلوم فى اختياره ، ثم فى تقسيمه وتبويبه . وهذا الضرب مجموعتان : حماسة أبى تمام ، وجمهرة أشعار العرب .

أما الحماسة فقد بُنى اختيار ما فيها من الشعر على أبواب المعانى : فباب لشعر الحماسة وهو أول الأبواب وأكبرها وبه سميت المجموعة كلها ، وباب للمراثى ، وباب للأدب ، وباب للنسيب ، وباب للهجاء ، وباب للأضياف والمديح ، وباب للصفات ، وباب للسير والنعاس ، وباب للملح ، وباب لمذمة

(١) ص : ١٦ .

النساء . وأما جمهرة أشعار العرب فقد قُسم ما فيها من الشعر سبعة أقسام هى : السموط ، المجمهرات ، المنتقيات ، المذهبات ، المراثى ، المشوبات ، الملحمات.

أما المفضليات والأصمعيات فلم يبيَّن فيهما أساس الاختيار ، وليس فيهما تبويب وتقسيم ، وقد التقت الحماسة والجمهرة فى هذه الصفة وحدها — ثم اختلفتا فى غيرها ؛ فانضمت الجمهرة إلى المفضليات والأصمعيات فى أنها قصائد كاملة طوال[1]. أما الحماسة فأبيات مقتطفات ومقطعات قصار ؛ ولذلك قال التبريزى[2] : « ومن أجود ما اختاروه من القصائد المفضليات ، ومن المقطعات الحماسة » .

وليس من شأننا فى هذا البحث أن نتناول بالحديث الشعر نفسه من حيث خصائصه وميزاته ، وإنما هدفنا أن نقصر الحديث على رواية القصائد ورواية المجاميع جملةً . وسنرى أن حديثنا عن هاتين المجموعتين من المختارات حديث موجز نتخذه معبراً نصل منه إلى ما سنجمله فى آخر هذا الفصل من رواية كتب المختارات وقيمتها التاريخية من حيث هى مصدر من مصادر الشعر الجاهلى .

أما الحماسة فليست لها رواية انتقلت بها إلى أبى تمام ، ولا رواية أخذت بها عن أبى تمام ، وإنما أخذها أبو تمام من الكتب ، وانتقاها من الدواوين والمجاميع ، فى حديث طويل سنذكره بعد قليل . ثم كتب أبو تمام ما اختاره ، وبقى كتابه دهراً مطوياً لم يقرأه عليه أحد ، كما لم يقرأه هو على أحد ، إلى أن أتيح له أن يُنشر ويظهر بعد وفاة أبى تمام[3] ؛ فأخذ ما فيه من الصحف المكتوبة نفسها لا عن العلماء . وهذا المرزوقى شارح الحماسة ، وبينه وبين أبى تمام نحو مائتى عام ، لا يذكر إسناداً انتقل إليه به الكتاب ، بل إنه لينص على أنه أخذه من الكتب ، وأنه كانت بين يديه نسخ عدة منه فهو يقابل بينها ويثبت ما يجدفيها[4].

وليس فقدان الرواية والإسناد هو الأمر الوحيد الذى يباعد بين الحماسة

---

(١) ليست كل الأصمعيات قصائد ، بل فيها مقطعات قصار ، وإن كانت القصائد أكثر عدداً .

(٢) شرح ديوان الحماسة : ٣ .

(٣) مروج الذهب ٤ : ٧٤ .

(٤) شرح ديوان الحماسة ١ : ٢٥٥ .

وبين بحثنا هذا ، بل إن ثمة شيئاً آخر لا يقل عن سابقه فى المباعدة بين هذا الكتاب وبين بحثنا ، وهو صنيع أبى تمام فيما اختاره من تغيير للنص الشعرى مما أوضحه المرزوقى فى مقدمته ، قال[1]: « وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال ، ولا من الشعر إلى المتردد فى الأفواه ، المجيب لكل داع ، فكان أمره أقرب ؛ بل اعتسف فى دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرمهم وإسلاميهم ومولدهم ، واختطف منها الأرواح دون الأشباح ، واخترف الأثمار دون الأكمام ، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه ، لأن ضروب الاختيار لم تخفَ عليه ، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستتر عنه ، حتى إنك تراه ينتهى إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه ، فيجبر نقيصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها فى نقده . وهذا يبين لمن رجع إلى دواوينهم ، فقابل ما فى اختياره بها » .

من أجل هذا كله رأينا أننا لا نستطيع أن نتحدث عن الحماسة حديثاً يتصل بموضوعنا ، فأوجزنا الكلام إيجازاً يغنى عن التطويل ، ويكفى لأن نصل به بعد قليل ما يدخل فى بحثنا إلى الصميم .

* * *

وأما الجمهرة فتحتاج إلى بحث مستفيض قائم بذاته مستقل عن بحثنا هذا ، فنسبتها إلى صاحبها عقدة تحتاج إلى حل ، والتعريف بصاحبها وترجمته عقدة أخرى لا تقل عن الأولى ، وأكثر الرواة الذين يروى عنهم مجاهيل لم نجد لهم ذكراً فيما بين أيدينا من كتب الرجال والطبقات ، وهى عقدة ثالثة تنافس فى الصعوبة سابقتيها . وتفصيل ذلك أن هذا الكتاب — فى طبعاته الثلاث : طبعة بولاق سنة ١٣١١ هـ ، وطبعة المطبعة الخيرية سنة ١٣٣١ هـ ، وطبعة المطبعة التجارية — وهى كلها عن أصل واحد ولا اختلاف بينها — قد نُسب إلى أبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى ؛ وهو مجهول ليس له أدنى ذكر فى جميع كتب

---

(١) شرح ديوان الحماسة : ١٣ — ١٤ .

الطبقات والرجال ، فلم يذكر مع المحدثين ورواة الحديث ، ولا مع اللغويين والنحويين ، ولا مع الشعراء والأدباء ، ولا مع مؤلفى الكتب وجامعى الدواوين .

ثم تتبعنا ذكره وذكر جمهرته فيما بين أيدينا من كتب الأدب عامة ، فوجدناه مذكوراً فى خزانة الأدب للبغدادى[١] ، وفى المزهر للسيوطى[٢] ، وفى العمدة لابن رشيق[٣] . أما فى الخزانة فقد ذكره البغدادى ست مرات لم يسمه فى أربع منها ، وإنما ذكر الكتاب من غير نسبة مرة ، وقال فى مرة أخرى : صاحب جمهرة أشعار العرب . وقال فى المرتين الأخريين : شارح جمهرة أشعار العرب . وسماه فى الموطنين الباقيين باسم محمد بن أبى الخطاب ، من غير كنية ومن غير نسبة بعد الاسم . غير أنه فى أحد هذين الموطنين نقل اسمه من العمدة ، فقال : « وفى العمدة لابن رشيق : قال محمد بن أبى الخطاب فى كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب » . فلعله فى الموطن الثانى الذى سماه فيه قد تأثر بتسمية ابن رشيق له ، ولعله أيضاً كان بين يديه كتاب الجمهرة فنقل منه ما نقل من غير أن يسميه لأنه كان فى شك من أمر نسبته إلى صاحبه .

وأما السيوطى فى المزهر فقد ذكره فى موطن واحد ، ونقل ما جاء فى العمدة عنه من غير أن يذكر أنه أخذه من كتاب ابن رشيق .

فرد تسمية صاحب الجمهرة فى هذين الكتابين — كما رأينا — إلى ابن رشيق فى العمدة حيث سماه فى موطنين ، فقال مرة : « وقال محمد بن أبى الخطاب فى كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب » ، وقال مرة أخرى : « وزعم ابن أبى الخطاب » . وعند كتاب العمدة ينتهى بحثنا عن صاحب كتاب الجمهرة ، ويكون بذلك ابن رشيق أقدم من ذكر محمد بن أبى الخطاب ونسب إليه الجمهرة ، فإذا كانت تسمية هذا الرجل مما جرى به قلم ابن رشيق حقًّا ، ولم يكن زيادة أقحمها

---

(١) ١ : ١٠ ، ٦١ ؛ ٢ : ٥٥ ؛ ٤ : ١٦٣ ، ٥٣٨ ، ٥٤٥ .
(٢) ٢ : ٤٨٠ .
(٣) ١ : ٧٨ — ٧٩ .

أحد النساخ ، فإن معنى ذلك أن محمد بن أبي الخطاب قد عاش قبل منتصف القرن الخامس الهجرى (مات ابن رشيق سنة ٤٦٣ هـ) .

ثم إننا وجدنا فى معهد إحياء المخطوطات العربية صورة من نسخة أصلها فى مكتبة كوبريلى ، وعنوانها « جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام ، وما وافق القرآن على ألسنتهم واشتقت بهم لغتهم وألفاظهم » . والنسخة مكتوبة فى سنة ٦٨٣ هجرية كما هو مذكور فى آخرها. وهى تتفق مع النسخة المطبوعة فى العنوان وفى المحتويات ، وإن كان بينهما من الاختلاف ما يكون عادة بين النسخ الخطية المتعددة للكتاب الواحد . غير أن هذه النسخة المصورة مذكور فى أولها أن مؤلفها وشارحها هو : محمد بن أيوب العزيزى ثم العمرى ! ! وهو مجهول أيضاً لم نعثر له على ترجمة ، أفيكون رجلاً آخر غير محمد بن أبى الخطاب ؟ أم أنه هو هو ؟ ويكون بذلك أبوه أيوب هو أبا الخطاب كنية ؟

وأمر ثالث : هل محمد بن أبى الخطاب أو محمد بن أيوب هو مؤلف هذا الكتاب ، أو شارحه وراويه ؟ ولرب قائل يقول : إن محمد بن أبى الخطاب أو محمد بن أيوب هو مؤلف الكتاب من غير ريب . وأن على ذلك دليلين ؛ الأول : نص واضح فى أول الكتاب ، ففى المطبوعة « هذا الكتاب جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام . تأليف أبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى .. » ، وفى المخطوطة « ألفه وشرحه محمد بن أيوب العزيزى ثم العمرى » . والدليل الثانى : أن أكثر الأخبار والروايات فى القسم الأول من الكتاب وهو مقدمته ، مصدَّرة بقوله « قال محمد » ثم يذكر إسناد الرواية .

ومع أن هذين الدليلين كان يصح أن يكفيا للتدليل على أن هذا الرجل هو مؤلف الكتاب — إلا أننا لا نستطيع ، بعد الدرس ، أن نسلم بهذه النتيجة وذلك لأننا وجدنا أن محمداً هذا يروى الكثرة الغالبة من أخبار مقدمته عن رجل بعينه هو « أبو عبد الله المفضل بن عبد الله بن محمد بن المجبَّر[1] بن

---

(١) فى المطبوعات الثلاث « المحبر » وهو تصحيف ، صوابه « المجبر » بالجيم المعجمة=

عبدالرحمن بن عمر بن الخطاب » . حتى إذا وصل فى مقدمته إلى القسم المهم منها ، وهو هذا التقسيم السباعى للشعر الذى يورده — وهو تقسيم لم يرد فى غير هذا الكتاب فيما نعرف — ذكر هذا التقسيم وذكر سبعة شعراء سماهم بأسمائهم فى كل قسم ، ثم قال[1] ، « قال المفضل : فهذه التسع والأربعون قصيدة عيون أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام ، وأنفس شعر كل رجل منهم . » فيكون إذن هذا التقسيم ، مع النص على الشعراء بأسمائهم وذكر القصائد بذواتها ، من صنع المفضل هذا ، لا من صنع محمد ، ويكون فضل محمد فى أنه روى هذا التقسيم والشعر عن المفضل ، ثم شرحه ذلك الشرح الموجز الموجود فى الكتاب .

والمفضل بن عبد الله المجبرى هذا مجهول كذلك لم تذكره كتب الرجال والطبقات ، غير أنه فى هذا الكتاب يروى « عن أبيه عن الأصمعى »[2] ، و « عن أبيه عن جده عن أبى عبيدة »[3] ، فيكون المفضل بذلك من رجال القرن الثالث ومطلع القرن الرابع ، ويكون محمد راوى الجمهرة وشارحها من رجال القرن الرابع ؛ وسائر الأسانيد التى عن غير المفضل فى المقدمة تتفق فى هذه النتيجة على وجه التقريب . أما ما ذكره سركيس فى معجم المطبوعات من أن محمداً توفى فى سنة ١٧٠ هـ فأمر عجيب لا ندرى كيف وصل إليه ، ولعله استنتجه استنتاجاً حين رأى محمداً فى أول النسخة يروى عن المفضل بن محمد الضبى ، وهو خطأ محض ، صوابه ما فى المخطوطة الأخرى المثبت على هامش الصفحة الثالثة من أنه « المفضل بن عبد الله المجبرى » ويؤيد ذلك تكرار هذا

= فى نسب قريش للمصعب الزبيرى ص٣٥٦ «وأما عبد الرحمن الأصغر "ابن عمر بن الخطاب" فهلك وترك ابناً له ، فسمى به ، فسمته حفصة بنت عمر : عبد الرحمن ، ولقبته "المجبر" ، قالت "يجبره الله" فولده يعرفون ببنى المجبر» . وانظر أيضاً جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص : ١٤٦ .

(١) جمهرة أشعار العرب : ٣٥ .

(٢) المصدر السابق : ١٦ .

(٣) المصدر السابق : ١٧ هامش : ٤ .

الاسم بهذا النسب فى صفحات المقدمة .

وهذا التاريخ التقريبى الذى وصلنا إليه من رواية المقدمة — وهو أن محمداً هذا قد عاش فى خلال القرن الرابع الهجرى — يؤيده، بعض الشىء ، ما ذكرناه من أن مؤلف كتاب جمهرة أشعار العرب لا بد أن يكون قد عاش قبل منتصف القرن الخامس لأن ابن رشيق القيروانى روى عنه فى العمدة، وابن رشيق مات سنة ٤٦٣ هـ .

ونحب أن نكتفى بهذا القدر من بحث هذا الكتاب ودراسته ، ونترك مواصلته وإكماله لمن سيستقل فى المستقبل بعبء تحقيقه ونشره. فإذا أضفنا إلى ذلك أن جميع ما فى كتاب جمهرة أشعار العرب من إسناد ورواية محصور فى المقدمة نفسها وما فيها من أخبار وأحكام نقدية ، وأما القسم الثانى من الكتاب وهو الشعر نفسه فخال من أى إسناد ورواية — إذا أضفنا هذا إلى كل ما تقدم تبين لنا فى وضوح أن فيما أسلفنا من حديث ما يغنى عن الإطالة .

٤

وبعد ، فإننا لم نتحدث عن أخطر ما فى مجموعات القصائد المختارة من دلالات تتصل ببحثنا عن تاريخ الرواية ومصادر الشعر ، وقد اقتطعنا هذا الجزء من البحث من مواضعه المتفرقة وادخرناه لنختم به هذا الفصل؛ ولا نريد أن نستعجل ذكره وبيانه، وإنما نريد أن نمهد بإيراد بعض النصوص والأخبار التى تنتهى بنا إلى ما نريد :

١ — قال التبريزى[1] : « وكان سبب جمع أبى تمام الحماسة أنه قصد عبد الله بن طاهر ، وهو بخراسان، فمدحه، وكان عبد الله لايجيز شاعراً إلا إذا

(١) شرح ديوان الحماسة ١ : ٣ — ٤ .

رضيه أبو العميثل وأبو سعيد الضرير ، فقصدهما أبو تمام وأنشدهما القصيدة التي أولها :

أَهُنَّ عَوَادِى يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُـهْ فَعَزْماً فَقِدْماً أَدْرَكَ السُّؤْلَ طَالِبُهْ

فلما سمعا هذا الابتداء أسقطاها ، فسألهما استمام النظر فيها ، فمرَّا بقوله :

وَرَكْبٍ كأطرافِ الأَسِنَّةِ عَرَّسُوا على مثلها والليلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ
لأمر عليهم أن تتمَّ صُدورُهُ وليس عليهم أنْ تتمَّ عواقبُهْ

فاستحسنا هذين البيتين وأبياتاً أخرى . . . فعرضا القصيدة على عبد الله ، وأخذا له ألف دينار. وعاد من خراسان يريد العراق، فلما دخل همذان اغتنمه أبو الوفاء ابن سلمة ، فأنزله وأكرمه ، فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطرق ومنع السابلة ، فغمَّ أبا تمام ذلك وسرَّ أبا الوفاء ، فقال له: وطِّن نفسك على المقام فإن هذا الثلج لا ينحسر إلا بعد زمان . وأحضره خزانة كتبه ، فطالعها واشتغل بها ، وصنف خمسة كتب فى الشعر ، منها : كتاب الحماسة ، والوحشيات وهى قصائد طوال ، فبقى كتاب الحماسة فى خزانة آل سلمة ، يضنون به ، ولا يكادون يبرزونه لأحد ، حتى تغيرت أحوالهم ، وورد همذان رجل من أهل دينور يعرف بأبى العواذل ، فظفر به ، وحمله إلى أصبهان ، فأقبل أدباؤها عليه ، ورفضوا ما عداه من الكتب المصنفة فى معناه ، فشهر فيهم ثم فيمن يليهم » .

٢ ــ وروى عن المفضل أنه قال[١]: « كان إبراهيم بن عبد الله بن الحسن متوارياً عندى ، فكنت أخرج وأتركه ، فقال لى : إنك إذا خرجت ضاق صدرى ، فأخرجْ إلىَّ شيئاً من كتبك أتفرج به . فأخرجت إليه كتباً من الشعر ، فاختار منها السبعين قصيدة التى صدَّرتُ بها اختيار الشعراء ، ثم أتممت عليها باقى الكتاب » .

(١) مقاتل الطالبيين : ٣٧٢ – ٣٧٣ .

٣ — وروى النجيرمى أن العباس بن بكار قال للمفضل[١]: « ما أحسن اختيارك للأشعار ؛ فلو زدتنا من اختيارك ! فقال : والله ما هذا الاختيار لى ، ولكن إبراهيم بن عبد الله استتر عندى ، فكنت أطوف وأعود إليه بالأخبار ، فيأنس ويحدثنى . ثم عرض لى خروج إلى ضيعتى أياماً ، فقال لى : اجعل كتبك عندى لأستريح إلى النظر فيها ، فتركت عنده قمطرين فيهما أشعار وأخبار ، فلما عدت وجدته قد علّم على هذه الأشعار ، وكان أحفظ الناس للشعر ، فجمعته وأخرجته ، فقال الناس : اختيار المفضل » .

٤ — وقال أبو عكرمة الضبى[٢]: « مر أبو جعفر المنصور بالمهدى وهو ينشد المفضل قصيدة المسيّب التى أولها : أرحلت ، وهى هذه :

أَرَحَلْتَ مِنْ سَلْمَى بِغَيْرِ مَتَاعِ قَبْلَ العُطَاسِ وَرُعْتَهَا بِوَدَاعِ

فلم يزل واقفاً من حيث لا يشعر به ، حتى استوفى سماعها ؛ ثم صار إلى مجلس له وأمر بإحضارهما . فحدّث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب واستحسانه إياها ، وقال له : لو عمدت إلى أشعار الشعراء المقلّين واخترت لفتاك لكل شاعر أجود ما قال لكان ذلك صواباً ؛ ففعل المفضل » .

* * *

وأحسب أن هذه النصوص ، بهذا النسق الذى أوردناها فيه ، وبهذه الخطوط التى وضعناها تحت بعض عباراتها — قد دلت على ما نريد أن ننتهى إليه ؛ وخلاصته : أن العلماء فى القرن الثانى كانوا قد فرغوا من تدوين أشعار الشعراء المكثرين ، ومن دراسة دواوين الشعراء المشهورين ، ومن أجل هذا كان لابد لهم من أن يعمدوا « إلى أشعار الشعراء المقلّين » فيختاروا منها « لكل شاعر أجود ما قال » . ثم إن الرواية عن الشيخ : قراءةً وإملاءً ، كانت وسيلة من وسائل

(١) المزهر ٢ : ٣١٩ .
(٢) القالى : الأمالى ٣ : ١٣٠ .

اختيار بعض هذه المختارات — كما رأينا فى بعض القصائد الأصمعيات — غير أن الوسيلة الكبرى التى كانت أكثر اتباعاً فى اختيار المختارات كانت الرجوع إلى دواوين الشعراء وكتب الشعر التى كانت متوفرة بين يدى علماء القرن الثانى. فأبو تمام (المتوفى فى نحو سنة ٢٢٨ هـ) يجد أمامه فى همذان — فى شرق الدولة الإسلامية — خزانة كتب ، لا كتاباً أو كتابين ، فيطالعها ويشتغل بها ويختار منها قصائد ومقطعات تكفى لأن يؤلف منها خمسة كتب . وإذا كان الباحث فى تاريخ الرواية الأدبية وتدوين الشعر يأسى لأن الأخبار التى بين يديه لا تعينه على معرفة تاريخ كتابة هذه الكتب الموجودة فى خزانة آل سلمة فى همذان ، ولا تدله على أكثر من أن هذه الكتب كانت مدونة فى آخر القرن الثانى الهجرى، فإن مما يخفف أسى هذا الباحث أن بين يديه نصاً آخر ، لا يحتمل الشك ولا التأويل ، يشير إلى أن خزائن كتب الشعر ودواوين الشعراء كانت موجودة منذ مطلع القرن الثانى وربما نهاية القرن الأول الهجرى ، وبذلك استطاع المفضل الضبى أن يترك بين يدى إبراهيم بن عبد الله (فى نحو سنة ١٤٥ هـ) « قمطرين فيهما أشعار وأخبار » . وأن يعلّم إبراهيم على سبعين قصيدة منها يصدّر بها المفضل اختياره ، ثم يتمّ عليها باقى كتابه حين يدعوه المنصور إلى تأديب ابنه المهدى ، ويطلب منه أن يعمد إلى أشعار الشعراء المقلين فيختار لكل شاعر أجود ما قال .

إن هذا المعلم الواضح الذى نصبناه — فى طريق بحثنا فى نهاية القرن الأول الهجرى ومطلع القرن الثانى ليكشفَ لنا عن وجود دواوين الشعراء وكتب الشعر منذ هذا العهد المبكر — هذا المعلم الواضح يدعم ما قدمنا الحديث عنه من معالم ، استخرجناها من النصوص الكثيرة التى جمعناها فى طريق بحثنا لتحدد لنا اتجاهه ، ولتبين لنا أن مدونات الشعر الجاهلى قد انتقلت إلى القرن الثانى والطبقة الأولى من الرواة العلماء — من القرن الأول الهجرى ، وأن بعضها ربما كتب منذ صدر الإسلام . وبذلك يكون التدوين : فى الصحف المتفرقة وفى الدواوين المجموعة — رافداً كبيراً يساير الرافد الآخر ، وهو الرواية الشفهية ، ويعاصره ، ولا يقل عنه قيمةً ؛ وهما معاً يكوّنان هذا الجدول العظيم الذى نسميه : الرواية الأدبية .

الفصل الرابع

الشعر الجاهلى فى غير الدواوين

١

فى الكتب العربية ، على اختلاف موضوعاتها وفنونها ، شعر كثير ، بعضه جاهلى .. ولو قصرنا حديثنا على ما ألّف منها فى القرنين الثانى والثالث واستخرجنا ما تفرق فى صفحاتها من شعر جاهلى وحده ، ثم جمعناه معاً ، لجاء كثيراً غزيراً بحيث يملأ أسفاراً عدة . ومن هنا كانت هذه الكتب جديرة بأن نقف عندها وقفة قصيرة ، نختم بها حديثنا عن مصادر الشعر الجاهلى . وإذ كنا نرى أن هذه الكتب ليست مصدراً أوليًّا من مصادر الشعر الجاهلى — على ما سنبينه بعد قليل — فلم نر ما يدعونا إلى الإحاطة بها كلها والاستقصاء فى بحثها ، وإنما بحسبنا نماذج قليلة ندل بها على طريقة هذه الكتب فى إيراد الشعر الجاهلى ، ونخلص منها إلى ما نريد من نتائج تتصل بموضوعنا الأصيل .

وقد اخترنا من كتب النحو كتاب سيبويه ، ومن كتب اللغة كتابىْ يعقوب ابن السِّكِّيت : « إصلاح المنطق » و « تهذيب الألفاظ » .

أما كتاب سيبويه فقد كان أول ما استوقفنا فيه ما ذكره أبو عمر الجرمى من قوله[1] : « نظرت فى كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً ، فأما الألف فعرفت أسماء قائليها ، وأما الخمسون فلم أعرف قائليها » . ثم جاء عبد القادر البغدادى فأورد قول الجرمى هذا وذكر ما يوضحه قال[2] : « فإن سيبويه إذا

---

(١) طبقات النحويين واللغويين : ٧٧ .

(٢) الخزانة ١ : ٣٣٣ — ٣٣٤ .

استشهد ببيت لم يذكر ناظمه ، وأما الأبيات المنسوبة فى كتابه إلى قائليها فالنسبة حادثة بعده ، اعتنى بنسبتها أبو عمر الجرمى . . . وإنما امتنع سيبويه من تسمية الشعراء لأنه كره أن يذكر الشاعر ، وبعض الشعر يروى لشاعرين وبعضه منحول لا يعرف قائله لأنه قدم العهد به . وفى كتابه شىء مما يروى لشاعرين ، فاعتمد على شيوخه ونسب الإنشاد إليهم فيقول : أنشدنا ، يعنى الخليل ؛ ويقول : أنشدنا يونس ، وكذلك يفعل فيما يحكيه عن أبى الخطاب وغيره ممن أخذ عنه . وربما قال : أنشدنى أعرابى فصيح . وزعم بعض الذين ينظرون فى الشعر أن فى كتابه أبياتاً لا تعرف ؛ فيقال له : لسنا ننكر أن تكون أنت لا تعرفها ولا أهل زمانك ، وقد خرج كتاب سيبويه إلى الناس والعلماء كثير ، والعناية بالعلم وتهذيبه أكيدة ، ونُظر فيه وفُتش فما طعن أحد من المتقدمين عليه ، ولا ادعى أنه أتى بشعر منكر . وقد روى فى كتابه قطعة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللغة معرفة جميع ما فيها ولا رووا حرفاً منها » .

وكلام البغدادى — على ما فيه من فائدة وغناء — غير ملزم للجرمى ، ولا يُفهَم بالضرورة من كلامه الذى أوردناه . فكلام الجرمى لا يفيد أن سيبويه لم ينسب شيئاً من أبياته التى استشهد بها ، وكل ماذكره الجرمى أنه وجد فى كتاب سيبويه ألفاً وخمسين بيتاً ، عرف أسماء قائلى ألف منها فأثبتها ، ولم يعرف أسماء قائلى الخمسين الباقية . وهذا القول يحتمل أن يكون سيبويه قد عزا بعض هذه الأبيات الألف إلى قائليها ثم جاء الجرمى ونسب ما لم ينسبه سيبويه . ويحتمل أيضاً أن سيبويه لم يعزُ شيئاً منها وإنما الفضل فى نسبتها إلى الجرمى . ولا سبيل إلى ترجيح أحد هذين الاحتمالين من كلام الجرمى وحده . ولكن البغدادى قطع قطعاً يقينيًّا بأن سيبويه لم يعزُ شيئاً من أبياته وإنما كان الجرمى هو الذى عزاها . ثم مضى البغدادى فعلل لنا امتناع سيبويه من تسمية الشعراء .

فإذا عدنا نحن إلى كتاب سيبويه وجدنا فيه نحو تسعمائة وخمسة وأربعين بيتاً ، تكرر منها بعضها مرة أو مرتين فى نحو مائة وخمسة مواضع ، فيكون بذلك

مجموع الأبيات التى استشهد بها ألفاً وخمسين بيتاً مع المكرر منها . وقد تتبعنا الأبيات التى لم تُعزَ إلى قائل فوجدنا أنها نحو من مائتى بيت وسبعين بيتاً . فكان لا بد لنا أن نتساءل هل معنى ذلك أن سيبويه قد نسب نحو ثمانين وسبعمائة بيت إلى قائليها ، ثم جاء أبو عمر الجرمى فتتبع الأبيات التى لم ينسبها سيبويه فاستطاع أن ينسب منها نحو عشرين ومائتى بيت ، فيكون بذلك قد عرف نسبة ألف بيت وعجز عن معرفة قائلى الخمسين الباقية ؟

ولقد كان من الجائز أن نجيب عن هذا التساؤل بالإثبات ، وأن نقبل هذه النتيجة التى وصلنا إليها عن طريق العد والإحصاء لولا شكنا فى أصالة النسخة الخطية التى طُبع عنها كتاب سيبويه . فقد رأينا فى هذه الطبعة من الكتاب مواضع كثيرة تجعلنا نقطع بأن نسخته الخطية ليست النسخة الأصلية التى كتبها سيبويه ، وإنما أضيف إليها وأقحم عليها من أقوال تلاميذه ومَنْ بعدهم ممن رووا هذا الكتاب ما لا يجوز بحال أن يكون من أقوال سيبويه نفسه ، وخاصة فى نسبة الشعر والتعقيب عليه . فمن ذلك ما جاء فى صلب الكتاب[1] « واعلم أنه ليس شىء من هذا يمتنع من أن يُجمع بالتاء ، وزعم الخليل أن قولهم ظريف وظروف لم يكسَّر على ظريف كما أن المذاكير لم تكسر على ذكَر . وقال أبو عمر أقول فى ظروف هو جمع ظريف ، كسِّر على غير بنائه وليس مثل مذاكير ، والدليل على ذلك أنك إذا صغَّرت قلت ظُرَيِّفُون ولا تقول ذلك فى مذاكير » . وأبو عمر هذا هو أبو عمر الجرمى ، وواضح أنه ممن لم يرو عنهم سيبويه فقد « أخذ أبو عمر النحو عن الأخفش وغيره ، وقرأ كتاب سيبويه على الأخفش ولقى يونس بن حبيب ولم يلق سيبويه . . » [2] ومات سنة خمس وعشرين ومائتين[3] . فإذن كان جميع ما قاله أبو عمر فى هذه العبارة مقحماً على كتاب سيبويه .

---

(١) الكتاب ٢ : ٢٠٨ .
(٢) أخبار النحويين البصريين : ٧٢ .
(٣) إنباه الرواة : ٨١ .

ومن ذلك أيضاً ما جاء فى الكتاب من قوله[١]: «وقد جاء فى الشعر ، فزعموا أنه مصنوع» ، ثم استشهد ببيتين من الشعر . ونحن نرجح أن قوله «فزعموا أنه مصنوع» مما أضيف على الكتاب وليس فى أصله . ومما يجعلنا نرجح ذلك أن المبرد قال عن هذين البيتين[٢]: «وقد روى سيبويه بيتين محمولين على الضرورة ، وكلاهما مصنوع ، وليس أحد من النحويين المفتشين يجيز مثل هذا فى الضرورة» . ولو رأى المبرد فى أصل الكتاب قوله «فزعموا أنه مصنوع» لما قال ما قال ، أو لكان على الأقل أشار إليه . وهذا أبو جعفر النحاس قد وقعت بين يديه نسخة من الكتاب أضيفت إليها هذه العبارة فظن أنها من الأصل ولذلك قال يرد على المبرد[٣]: «وهذا لا يلزم سيبويه منه غلط ، لأنه قد قال نصًّا : وزعموا أنه مصنوع . فهو عنده مصنوع لا يجوز ، فكيف يلزمه منه غلط ؟» . ونحن نرى أن كلام أبى جعفر النحاس مردود لأنه لو كان البيت عند سيبويه مصنوعاً لا يجوز لما استشهد به .

ومما نرجح ترجيحاً يقرب إلى اليقين أنه مضاف إلى الكتاب مقحم عليه قوله يستشهد[٤]: «وقال وهو مصنوع على طرفة وهو لبعض العباديين :

أَسَعْدَ بنَ مالِ أَلمْ تَعْلَمُوا ... وَذُو الرَّأْيِ مَهْما يَقُلْ يَصْدقِ

ونحن نرى أن الأصل : «وقال : البيت . . .» أما عبارة «وهو مصنوع على طرفة وهو لبعض العباديين» فمما زيد على الكتاب بعدُ . ومن أوضح الأمثلة على الزيادة والإقحام أيضاً قوله[٥]: «وقال الآخر (ويقال وضعه بعض النحويين)» .

فإذا كانت الأمثلة التى أوردناها مما زيد على الكتاب ، فإننا نرى أن كثيراً

---

(١) الكتاب ١ : ٩٦ .

(٢) الكامل (ليبسك) : ٢٠٥ – ٢٠٦ .

(٣) الخزانة : ٤ : ٢٠١ – ٢٠٢ .

(٤) الكتاب ١ : ٣٣٦ – ٣٣٧ .

(٥) الكتاب ١ : ٤٣٤ .

من نسبة الشعر قد استحدثت بعد سيبويه وأضيفت إلى كتابه ، وجاءت فى هذه الطبعة كأنها من الأصل ، وإن وضعت أحياناً بين قوسين . فمن ذلك [١] « وقال أيضاً . . وهو الشماخ » و « قول الشاعر وهو مقاس العائذى » [٢] و « قول الشاعر وهو كعب بن جعيل »[٣] و « قول الشاعر وهو أبو ذؤيب »[٤] و « قال الشاعر بشر بن أبى خازم »[٥] . والأمثلة على ذلك كثيرة لا مجال لاستقصائها . غير أن من أوضح الدلائل التى قد تجعل الباحث يرجح ما ذهب إليه البغدادى فى خزانته من أن سيبويه لم ينسب الشعر الذى استشهد به فى كتابه ما جاء فى الكتاب[٦] : « وقال المرار الأسدى » ثم يورد بيتين ويقول : « حدثنا به أبو الخطاب عن شاعره » . ونحن نرجح أن كلمتى « المرار الأسدى » مضافتان ، وأنه اكتفى بقوله «وقال» ثم أورد البيتين ، وأسند الرواية إلى أبى الخطاب عن الشاعر الذى لم يسمه ، ولو كان من منهجه أن يعزو الشعر إلى قائله لقال « حدثنا به أبو الخطاب عن المرار الأسدى » .

ونحن نرى ألا سبيل إلى القطع الجازم فى هذا الأمر إلا إذا عثرنا على النسخة الخطية الأصلية التى كتبها سيبويه أو رواها عنه أحد تلاميذه ولم يضف إليها شيئاً . ومع ذلك فإنه سيان عندنا — فى هذا البحث — أن يكون سيبويه قد أهمل نسبة جميع الشعر الذى أورده أو أهمل نسبة بعضه ، فإن ما نريد أن نستنتجه من كتابه هو أن الشعر لم يكن عنده إلا وسيلة للاستشهاد أو الاستئناس ، ومن هنا لم يكن هذا الشعر غاية يقصد إليها فينص على نسبته إلى قائله وتحقيق هذه النسبة ، وإنما كان يكفيه أن يكون هذا الشعر من القديم الذى يصح أن

---

(١) الكتاب ١ : ١١ .
(٢) المصدر السابق ١ : ٢١ .
(٣) المصدر السابق ١ : ٣٤ — ٣٥ .
(٤) المصدر السابق ١ : ٦١ .
(٥) المصدر السابق ١ : ٢٩٠ .
(٦) المصدر السابق ١ : ٤٠ .

يستشهد به على لغة العرب . ولا عليه بعدُ أن يكون قائله امرأ القيس أو طرفة أو عبيداً أو رجلاً غير معروف من إحدى القبائل العربية . ومن أجل هذا نجد فى الكتاب شعراً غير منسوب إلى شاعر بعينه بل إلى رجل من القبيلة ، ففيه : « وقال رجل من باهلة »[١] ، و « قال بعض السلوليين »[٢] ، أو « قال رجل من بنى سلول »[٣] ، و « قال الهذلى »[٤] ، و « قال القرشى »[٥] ، و « قول رجل من عمان »[٦] ، و « قال رجل من قيس عيلان »[٧] ، وغيرها كثير .

• • •

أما كتابا ابن السكيت : إصلاح المنطق ، وتهذيب الألفاظ ، فإنهما لا يكادان يختلفان عن كتاب سيبويه فيما عرضنا من أمور . ففى الكتابين إضافات وإقحام وضع بعضها بين علامتين مميزتين ، وأرسل بعضها إرسالاً يوهم أنها من أصل الكتاب . ومع ذلك فى الكتابين شعر كثير غير معزو إلى قائله ، وإنما اكتفى ابن السكيت بقوله « قال الشاعر »[٨] ، أو « قال الآخر »[٩] ، أو « قال الراجز »[١٠] ، أو « قال »[١١] . وربما أسند إلى من روى عنه مع إهمال النسبة إلى الشاعر مثل « أنشد أبو زيد »[١٢] ، أو « أنشد الأصمعى »[١٣] ،

---

(١) ١ : ١١ — ١٢ ، ٣٩ .
(٢) ١ : ٤٣٤ .
(٣) ١ : ٣٥٨ .
(٤) ١ : ١٢٤ ، ٢/٢٦١ : ٣٠٧ .
(٥) ١ : ٢٩٠ .
(٦) ١ : ٨٢ .
(٧) ١ : ٨٦ — ٨٧ .
(٨) إصلاح المنطق ١٠ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ١٠١ ، ٣٢٠ وغيرها كثير ؛ وتهذيب الألفاظ ١ : ٣٨ ، ٤٠ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١١٧ ، ١٣٤ إلخ .
(٩) إصلاح : ٢٩ ، ٣٤ ، ٤١ — ٤٢ ، ١٦٣ .
(١٠) إصلاح : ١٩ ، ٢٣ ، ٢٩ ، وتهذيب ١ : ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ١٣٠ إلخ .
(١١) إصلاح : ٢٥ ، ١٨٥ وتهذيب ١ : ٨٨ .
(١٢) إصلاح : ٦٤ ، ١٢٤ ، ١٦٤ ، وتهذيب ٢ ، ٨٦ .
(١٣) إصلاح : ١١ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٩٥ .

أو « أنشد الكسائى »[١] ، أو « أنشدنى ابن الأعرابى[٢] » . وربما أورد البيت منسوباً مرة وأهمل نسبته مرة أخرى[٣] .

وكما ورد فى كتاب سيبويه شعر معزو إلى رجل من إحدى القبائل العربية مع إغفال النص على الشاعر نفسه ، كذلك ورد مثل ذلك فى « إصلاح المنطق » و « تهذيب الألفاظ » ؛ مثل « قال الهذلى »[٤] ، أو « قال الأسدى »[٥] أو « قال رجل من ربيعة »[٦] ، وغيرها كثير .

والناظر فى كتب النحو واللغة فى القرنين الثانى والثالث يجد أنها كلها تسير على هذا النهج ، وقد قدمنا أننا سنستغنى عن الإحاطة بها واستقصائها — بالبحث فى هذه الكتب الثلاثة وحدها إذ أنها تدل على غيرها .

وخلاصة بحثنا هذا أن الشعر عامة ومنه الشعر الجاهلى لا يعدو أن يكون فى كتب النحو واللغة وسيلة للاستشهاد والاحتجاج ، ومن هنا أهملت نسبة الكثير منه إلى قائله ، أو نُص على نسبة البيت إلى رجل غير مسمى من إحدى القبائل العربية ، ولذلك فنحن نرى أن كتب النحو واللغة ليست مصدراً أولياً من مصادر الشعر الجاهلى التى تثبت بها نسبة البيت أو الأبيات إلى شاعر بعينه .

---

(١) إصلاح : ١١٣ .
(٢) إصلاح : ٣٤ ، ٥٠ .
(٣) إصلاح : ٣٤ ، ٣٥ .
(٤) إصلاح : ٨ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٧٠ ، ٧٤-٧٥ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ٣٢٠ ، ٤٤٩ ؛ وتهذيب ١ : ٧٨ ، ٨٦ ، ٢٢٢ ، ٢٤٠ .
(٥) إصلاح : ٨٠ وتهذيب ٨٦ ، ٢٤١ .
(٦) إصلاح : ٣٩ ، ٤٠١ — ٤٠٢ .

٢

وأمر الشعر الجاهلى فى كتب السيرة والتاريخ لا يكاد يختلف — فى جوهره — عما قدمنا من حديث عن كتب النحو واللغة . ولو أننا قصرنا حديثنا على كتاب واحد هو ماحفظه لنا ابن هشام من السيرة التى صنعها محمدبن إسحق لوجدنا فيه شعراً كثيراً جديراً بالبحث والدرس. وأول مايبدو لنا من شأنه أن محمد بن إسحق لم يكن أول من أدخل الشعر فيما يروى من أخبار ، بل لقد سبقه إلى ذلك كل من كتب فى السيرة قبله ، مثل : عروة بن الزبير ، وعبد الله بن أبى بكر بن حزم ، وابن شهاب الزهرى ، وغيرهم ؛ فإن الأخبار التى تروى عنهم تدل على أنهم كانوا من رواة الشعر وحفاظه ومتذوقيه ، وما بقى لنا من آثار السيرة التى كتبوها — متفرقة فى مواطن عدة من كتب التاريخ والسيرة — يدل على أنهم كانوا يوردون فى كتبهم الأشعار التى قالها الرجال الذين يرد ذكرهم فى حوادث السيرة[١]. وقد مر بنا فى فصل مضى أن السيرة والتاريخ والقصص عامة كانت مجالاً واسعاً للاستشهاد بالشعر ، بل لقد كان الشعر ضرورة لازمة لها يزينها ويكسبها ثقة وقوة فى نفوس المستمعين والقارئين ، كأنما كان الشعر دليلاً على صدق ما يروى من خبر ، حتى لقد رووا أن معاوية بن أبى سفيان طلب من عبيد بن شرية — حينما كان يقص عليه أخباره المتضمنة فى كتاب « أخبار عبيد بن شرية » — أن يورد فى أخباره وقصصه كل ما يتصل من شعر وقال له[٢]: « وسألتك ألا تمر بشعر تحفظه فيما قاله أحد إلا ذكرته » . ومع أن عبيداً كان لا يقصّر فى الاستشهاد بالشعر ، فقد عاد معاوية يلحف عليه بقوله[٣]: « سألتك إلا شددت

---

(١) انظر هوروفتس المغازى الأولى ومؤلفوها : ٢٤ ، ٤٤ ، ٦٨ .

(٢) أخبار عبيد بن شرية : ٣١٤ .

(٣) المصدر السابق : ٣١٨ .

حديثك ببعض ما قالوا من الشعر ولو ثلاثة أبيات! » ، وحينما ذكر عبيد أن يعرب كان يقول الشعر قال له معاوية[١]: « اذكر الشعر الذى قال يعرب » . وكان معاوية كلما سمع الشعر الذى قيل فى إحدى الحوادث اطمأن إلى صحة الخبر وقال لعبيد[٢]: « لقد جئت بالبرهان فى حديثك يا عبيد » ، أو « لله درك فقد جئت بالبرهان »[٣] . ونحن لا يعنينا من كل ذلك تحقيق هذه الأخبار والأقوال، وإنما نريد أن نقول إن الاستشهاد بالشعر فى التاريخ عامةً والقصص التاريخية خاصةً كان من مألوف عادة القوم منذ أقدم ما نعرف من آثارهم .

وقد استتبع ذلك أن بعض القصاصين كانوا يجتلبون الشعر اجتلاباً ليضعوه فى المكان المناسب له من قصصهم ، ويطلبون المصنوع ليكثّروا به الأحاديث ويستعينوا به على السهر عند الملوك ، والملوك لا تستقصى[٤] ، أو عند عامة الناس وهم أقل استقصاءً وتدقيقاً .

ولم يكن جميع كتّاب السيرة والتاريخ ممن يجتلبون المصنوع اجتلاباً ويطلبون من يصنعه لهم ويضعه ، ولكنهم — مع ذلك — اتفقوا جميعاً فى إيراد شعر موضوع كثير ، بعضهم يعمد إليه عمداً لما قدمنا من أسباب ، وبعضهم يجد هذا الشعر أمامه مروياً أومدوناً ، فيضطر إلى الوفاء بواجبه وهو الجمع والتأليف ، من غير تحقيق لصحة الشعر ونسبته ، ويعتذر عن ذلك — حينما يلام عليه — بأنه لا علم له بالشعر وإنما جمع منه ما وجده أمامه أو ما رُوِىَ له .

من هذا الضرب الثانى محمد بن إسحق صاحب السيرة . فقد كان مشهوداً له بالعلم بالمغازى والسيرة حتى قال عنه ابن سلام[٥]: « كان من علماء الناس بالسير » ، وقال الزهرى[٦] « لا يزال فى الناس علم ما بقى مولىً آل مخرمة ، وكان

---

(١) أخبار عبيدة : ٣١٦ .
(٢) المصدر السابق : ٣٣٠ .
(٣) المصدر السابق : ٣٤٩ .
(٤) طبقات الشعراء : ٥٠ .
(٥) المصدر السابق : ٩ .
(٦) المصدر السابق : ٨ .

أكثر علمه بالمغازى والسير وغير ذلك » . ومع ذلك فإنه لم يكن له علم بالشعر ، وكان يعتذر عن الأشعار التى أوردها فى سيرته بقوله[١]: « لا علم لى بالشعر ، أوتَى به فأحمله » ،ولم يقبل منه ابن سلاّم هذا العذر ، وذلك لأنه « كتب فى السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود ، فكتب لهم أشعاراً كثيرة . . . أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أدّاه منذ آلاف السنين ؟ . . فكأن ابن سلام كان يفترض أن هذا القدر من التمييز والعلم بالشعر مما لا يجوز لأحد من العلماء أن يجهله . ومن أجل ذلك نرى فى أحكام ابن سلام على ابن إسحق شيئاً من القسوة والتعميم فهو يقول[٢]: « وكان ممن أفسد الشعر وهجّنه وحمل كل غُثاء منه : محمد بن إسحق » . وقال[٣]: « فلو كان الشعر مثل ما وُضع لابن إسحق ، ومثل ما رواه الصحفيون ، ما كانت إليه حاجة ولا فيه دليل على علم » . وقال أيضاً فى معرض حديثه عن أبى سفيان بن الحارث[٤]: « ولسنا نعد ما يروى ابن إسحق له ولا لغيره شعراً ، ولأنْ لا يكون لهم شعر ، أحسن من أن يكون ذاك لهم » .

ومع ذلك كله فإن الأمر فى حاجة إلى التقييد بعد هذا الإطلاق الذى ذهب إليه ابن سلام فى أمر الشعر الذى أورده ابن إسحق . فإذا ما عرضنا الشعر الذى أورده ابن إسحق فى سيرته — وبقى لنا بعد تهذيب ابن هشام — وجدنا أن الشعر عنده على ثلاثة ضروب :

الأول : الشعر الذى لا خلاف فى أنه موضوع مصنوع ، وهو الذى نُسب إلى آدم وإسماعيل والأمم القديمة والعرب البائدة . وليس فى السيرة التى بين أيدينا إلا القليل منه ، وإن كان قسم كبير منه قد حفظ فى كتب التاريخ مروياً عن

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ٩ .
(٢) المصدر السابق : ٨ .
(٣) المصدر السابق : ١١ .
(٤) المصدر السابق : ٢٠٦ .

ابن إسحق، وذلك لأن ابن هشام قد حذف هذا القسم فى تهذيبه للسيرة ونص على ذلك فى مقدمته[١] . ومع ذلك فإن الأمثلة التى بقيت فى السيرة من هذا القسم تدل على أن ابن إسحق نفسه لم يكن يثق فى صحة هذه الأشعار بل فى صحة الأخبار نفسها ، ولكنه وجدها أمامه مدونة أو مروية ، فأثبتها كما قرأها أو سمعها . وكان يذكر من العبارات ما يبرئ به نفسه من تبعتها ، فهو مثلاً حين يذكر خبر انتشار النصرانية فى نجران ينص على أن « هذا حديث محمد بن كعب القرظى ، وبعض أهل نجران »[٢] عن ذلك ، فليس عليه إذن من تبعته شىء وإنما هو يرويه كما سمعه ، وكأنه يؤكد براءته من هذه التبعة بقوله بعد ذلك « والله أعلم أى ذلك كان » . وهو يذكر خبر سامة بن لؤى ثم يورد له شعراً قاله حين أحس بالموت ، ولكنه لا يتحمل تبعته ، ومن هنا ذكر أن سامة قال ذلك الشعر « فيما يزعمون »[٣] . ويورد رجزاً لثعلبة بن سعد بن ذبيان فيقيده أيضاً بهذا القيد نفسه قال[٤]: « وثعلبة — فيما يزعمون — الذى يقول لعوف حين أبطئ به فتركه قومه» . ويروى رجزاً للغوث بن مرّ، ويحتاط لنفسه فيقول[٥]: « فيما زعموا » . ويورد خبر عثور بعض الناس على حجر فى الكعبة قبل الإسلام بأربعين سنة مكتوب عليه بعض الحِكم ، فيُدخل بين الكلام قيده الذى يقيِّد به مثل هذه الروايات فيقول[٦]: « وزعم ليث بن أبى سليم . . . إن كان ما ذكر حقًّا . . » . فكأن ابن إسحق يرى — بمثل هذا الاحتياط الذى كان يصطنعه — أن هذه الأخبار والأشعار أصبحت من التراث المروىّ ، وأن لا سبيل إلى البحث العلمى فى صحتها وصدق نسبتها ، بل لو كان إلى ذلك سبيل ، فليس هو ذاك الرجل الذى يضطلع بهذا

---

(١) السيرة ١ : ٤ .

(٢) المصدر السابق ١ : ٣٦ .

(٣) المصدر السابق ١ : ١٠١ .

(٤) المصدر السابق ١ : ١٠٢ .

(٥) المصدر السابق ١ : ١٢٥ .

(٦) المصدر السابق ١ : ٢٠٨ .

العبء ، فهو ليس عالماً بالشعر ، على حفظه له وروايته إياه — وليس من عمله أن يحققه ويمحصه ؛ وإنما عمله فى أن يورد الأخبار إيراداً ، ويسرد الروايات سرداً ، ويزين كل خبر بما يستطيع أن يعثر عليه من شاهد شعرى . وكل ما يستطيع أن يأخذ به نفسه فى مثل هذا الموضوع هو أن ينثر فى حديثه مثل هذه العبارات التى قدمناها كقوله « فيما يزعمون »، أو « إن صح ما قالوه » ، ليبرئ نفسه من تبعة ما يروى .

الثانى : أما القسم الثانى من الشعر الذى تضمنته السيرة فهو الذى قيل قُبيل البعثة أو فى السنوات الأولى منها ، فهو بذلك أقرب إلى الصحة ، بل إن بعضه صحيح لا شك فيه وإن اختلف بعض الرواة فى نسبته . وهنا يتجلى لنا أيضاً حذر ابن إسحق وحيطته ، وتبرؤه من التبعة ، فكأنه يريد أن يؤكد المعنى الذى لمحناه فى القسم الأول وهو أنه ليس من علماء الشعر المحققين له ، وإنما يروى منه ما وجده أمامه وينقل ما نقله إليه غيره . ولذلك نراه يتبع إحدى طريقتين فى هذا القسم من الشعر ؛ الأولى: أنه يستعمل القيود نفسها التى استعملها فى القسم الأول ، فهو ينقل الخبر أو الشعر ويبدؤه أو يعقّب عليه بقوله « فيما يزعمون »[١]، أو « كما يذكرون »[٢] ، أو « فزعم بعض أهل الرواية »[٣] ، أو « فهذا الذى بلغنى من هذا الحديث»[٤]، أو « فهذا حديث الرواة من أهل المدينة »[٥] أو ما شاكل هذه العبارات . وأما الطريقة الثانية التى اتبعها فى هذا القسم من الشعر فهى نسبة الشعر إلى شاعر بعينه والتعقيب على ذلك بأنها قد تروّىَ لغيره. فمن ذلك أنه يورد شعراً نسبه إلى أبى بكر الصديق ثم يقول[٦] « ويقال : بل عبد الله

---

(١) السيرة ١ : ١٤٣ ، ١٤٧ / ٢ : ٢٤٦ .
(٢) المصدر السابق ٢ : ٣/٢٤٢ : ٥ .
(٣) المصدر السابق ١ : ٢٠٩ .
(٤) المصدر السابق ١ : ١٥٣ .
(٥) المصدر السابق ١ : ٣٧١ .
(٦) المصدر السابق ٢ : ٢٥٦ .

ابن جحش قالها » . ويورد شعراً آخر ويقول[١] : « فقال عبد الله بن رواحة أو أبو خيثمة » . ويقول[٢] : « وكان مما قيل فى بنى النَّضير من الشعر قول ابن لُقيم العبسى ، ويقال : قاله قيس بن بحر بن طريف » . ويقول[٣] : « وقال قائل من بنى جذيمة ، وبعضهم يقول امرأة يقال لها سلمى » ثم يقول : « فأجابه عباس بن مرداس ، ويقال بل الجحاف بن حكيم السلمى » .

الثالث : وأما القسم الثالث من الشعر الذى أورده ابن إسحق فى السيرة فهو هذه الأبيات المجاهيل والقصائد التى لا يعرف اسم قائلها أو لا ينص عليه ؛ ومع أن القسمين الأولين واضحا الدلالة على ما نذهب إليه فى أمر الشعر الجاهلى الذى يرد فى مثل هذه الكتب ، فإن هذا القسم أوضح منهما دلالةً لأنه يصلنا بكثير من الشعر الذى ورد فى بحثنا عن كتب اللغة والنحو والذى سيرد فى بحثنا عن كتب الأدب عامة . ووجه الدلالة فى هذا القسم أن قائل الشعر أو تحقيق نسبته ليس من الأمور التى يشغل بها المؤرخ أو كاتب السيرة نفسه ، كما لم يشغل بها نفسه اللغوى أو النحوى . فبحسب المؤرخ أو كاتب السيرة أن يجد شعراً قيل فى حادثة من الحوادث أو فى رجل من الرجال الذين يذكرهم حتى يسارع إلى إيراده فى كتابه ، وليس يعنيه بعد ذلك شىء ، فقد كفاه أن يجد ما يزين قصته أو يؤيد الخبر الذى ذكره . ومن أجل هذا نرى ابن إسحق فى سيرته يورد شعراً « لشاعر من العرب »[٤] ، أو « رجل من العرب »[٥] ، أو « شاعر من قريش أو من بعض العرب »[٦] ، أو « قال قائل من العرب »[٧] ، أو

---

(١) السيرة ٢ : ٣١٠ .
(٢) المصدر السابق ٣ : ٢٠٤ — ٢٠٥ .
(٣) المصدر السابق ٤ : ٧٤ — ٧٥ .
(٤) المصدر السابق ١ : ٨٦ ، ٢٠٦ .
(٥) المصدر السابق ١ : ٨٨ .
(٦) المصدر السابق ١ : ١٤٣/١٤٤ .
(٧) المصدر السابق ١ : ٢١٥ .

« فقالت امرأة من العرب »[١]، أو « قال رجل من بنى جذيمة »[٢]، أو « قال الآخر »[٣] . وأكثر هذا الشعر الذى لا ينص ابن إسحق على قائله هو ما قيل فى رجل من الرجال الذين يرد ذكرهم فى السيرة . فيذكر مثلاً جرير بن عبد الله البجلى، فيريد أن يزيده تعريفاً بقوله[٤]: « وهو الذى يقول له القائل » ، ويذكر هاشم بن حرملة فيقول[٥]: وهو « الذى يقول له القائل »، ويعرّف سعد بن سَيْل بقوله[٦]: « ولسعد بن سيل يقول الشاعر »، ويذكر أبا سيّارة عُميلة بن الأعزل فيقول[٧]: « ففيه يقول شاعر من العرب »، ويذكر المطلب ووفاته فيقول[٨]: « فقال رجل من العرب يبكيه » ؛ ومثل ذلك كثير .

فنحن نرى إذن أن الشعر فى كتب التاريخ والسيرة ليس هدفاً يقصد لذاته، ولم يكن موضعاً للتحقيق والتمحيص ، وإنما كان حلية أحياناً ، ودليلاً على القصة أو الخبر أحياناً أخرى ، وكان فى جميع هذه الأحايين يُقصَد منه التأثير فى نفوس السامعين أو القارئين حتى يندمجوا فى جوّ الحوادث نفسها وتصغو إليها أفئدتهم فيصدّقوها ، أو على الأقل لا يناقشوا أمر صحتها . ومن أجل هذا رأينا أصحاب التاريخ أو السيرة يروون شعرًا لا يكاد يشك أحد فى أنه مختلق موضوع ، بل إنهم هم أنفسهم — كما رأينا فى سيرة ابن إسحق — يشكّون فى هذا الشعر ، ويوردونه بعد عبارات تكشف عن بعض هذا الشك ، ولكنهم مع ذلك لا يملكون إلا أن يوردوه لأنه — كما ذكرنا — أصبح تراثًا شعبيًّا ، وأصبح لا مفر للمؤرخ من أن يجمعه ويورده مع كل حادثة قيل فيها . ومن أجل هذا وجدنا أيضاً أن

---

(١) السيرة ١ : ٢١٥ .
(٢) المصدر السابق ٤ : ٧٧ .
(٣) المصدر السابق ٤ : ٧٨ .
(٤) المصدر السابق ١ : ٧٦ .
(٥) المصدر السابق ١ : ١٠٥ .
(٦) المصدر السابق ١ : ١١٠ .
(٧) المصدر السابق ١ : ١٢٨ .
(٨) المصدر السابق ١ : ١٤٥ .

بعض الشعر الذى ورد فى كتب التاريخ والسيرة أرسل إرسالاً ، ولم ينسب إلى شاعر ، أو لم ينص على نسبته لشاعر ، وذلك لأن ما يعنى المؤرخ أو كاتب السيرة هو هذا الشعر نفسه وأنه قيل فى حادثة بعينها أو فى رجل بذاته ، أما تحقيق نسبة الشعر فليس مما يصرفون إليه جهدهم .

وما أحسبنى بعد ذلك مغالياً إذا ضممت كتب التاريخ أو السيرة إلى كتب اللغة والنحو — ولم أعدّها كلها مصدراً من مصادر الشعر الجاهلى يطمأن فيه إلى صحة ذلك الشعر الوارد فيه أو إلى نسبته إلى شاعر بعينه .

٣

وكتب الأدب العامة لا تختلف ، فى طريقة إيراد الشعر ، عن كتب النحو واللغة والسيرة والتاريخ ، ولو اقتصرنا فى حديثنا على كتابين من كتب الجاحظ هما : البيان والتبيين ، والحيوان ، لوجدنا فيهما مصداق ما نذهب إليه .

فالجاحظ — شأنه كشأن جميع من ألّف فى الأدب العام — لا يورد الشعر على أنه غاية تقصد لذاتها ، فلا يكلّف نفسه مشقة تمحيصه وتحقيقه والتثبت من نسبته وروايته ، وإنما يورد الشعر ليكون مثلاً أو شاهداً يتوسّل بهما لتوضيح ما يسوق من أخبار ، أو لدعم ما يذهب إليه من مناظرات ومناقشات . ومن أجل ذلك نراه — حين يذكر عادات العرب فى الخطابة ويردّ على الشعوبية فى ذلك — يقول[1] : « وفى كل ذلك قد روينا الشاهد الصادق والمثل السائر » . وحين يتحدث عن أنواع الشعراء وطبقاتهم ، يورد على كل نوع وطبقة بيتاً أو أبياتاً من الشعر فيها ذكر لهذه الأنواع والطبقات أو لبعضها متخذاً من هذا الشعر دليلاً على صدق قوله[2] . والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصَى ، بل إننا

---

(١) البيان والتبيين ٢ : ٤ .

(٢) المصدر السابق ٢ : ٩ — ١٢ .

لنكاد نذهب إلى أن جميع ما أورده الجاحظ فى كتابيه هذين إنما ينهج فيه هذا النهج .

وإذا كان الجاحظ ومؤلفو كتب الأدب العامة يشتركون مع مؤلفى كتب النحو واللغة والسيرة والتاريخ فى هذه الخاصة وهى : إيراد الشعر على أنه دليل أو شاهد ، فإن الجاحظ ومعه مؤلفو كتب الأدب العامة ينفردون عن مؤلفى الكتب التى ذكرناها بخاصة أخرى ، وهى : أنهم لا يرمون من وراء كتبهم التى يؤلفونها فى الأدب العام إلى الفائدة العلمية وحدها ، ولا يقتصرون فيها على التعليم والتثقيف وحدهما ، أو قل إنهم لا ينهجون فيما ينقلون من العلم نهج الأسلوب العلمى الجاف الذى يرمى إلى القارئ بالقول من أقرب السبل ، وإنما ينهجون فى ذلك نهج الأسلوب الأدبى ، ويلجأون إلى الاستطراد والتنويع والتنقل من باب إلى باب ، ومن موضوع إلى موضوع ، ثم يعودون إلى ما بدأوا به ، ولا يكادون يمضون فيه قليلاً حتى يتجاوزوه إلى حديث آخر . فهم بذلك يجمعون بين التعليم والتسلية ، وبين التثقيف والإمتاع . ومن كان هذا شأنه لا يعنيه أن يقف عند موضوع بعينه وقفة طويلة يستغرق فيها جميع أطرافه ، وليس من شأنه أن يأخذ نفسه ويأخذ القارئ بالتحقيق والتمحيص . ومن أجل هذا نرى الجاحظ حريصاً على أن يوضّح طريقته هذه توضيحاً لا لبس فيه فيقول[1] : « وقد ذكرنا من مقطعات الكلام وقصار الأحاديث بقدر ما أسقطنا به مؤونة الخطب الطوال . وسنذكر من الخطب المسندة إلى أربابها مقداراً لا يستفرغ مجهود من قرأها ، ثم نعود بعد ذلك إلى ما قصر منها وخفّ » . ويقول أيضاً[2] : « هذا — أبقاك الله — الجزء الثالث من القول فى البيان والتبيين ، وما شابه ذلك من غرر الأحاديث ، وشاكله من عيون الخطب ، ومن الفِقَر المستحسنة — والنُّتَف المستخرجة ، والمقطعات المتخيرة ، وبعض

(١) البيان والتبيين ٢ : ١١٧ .

(٢) المصدر السابق ٣ : ٥ .

ما يجوز فى ذلك من أشعار المذاكرة، والجوابات المنتخبة » . ويقول[١]: « كانت العادة فى كتب الحيوان أن أجعل فى كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار ، لما ذكرت عجبك بذلك . . . »

ويعلل الجاحظ اتباعه هذه الطريقة بقوله[٢]: « وجه التدبير فى الكتاب إذا طال أن يداوى مؤلفه نشاط القارئ له ، ويسوقه إلى حظه بالاحتيال له ، فمن ذلك أن يخرجه من شىء إلى شىء ومن باب إلى باب . . . ونقصد من ذلك إلى التخفيف والتقليل، فإنه يأتى من وراء الحاجة، ويعرف بجملته مراد البقية ». ويقول بعد أن يورد بعض الأخبار والنوادر[٣]: «فجعلنا بعضها فى باب الاتعاظ والاعتبار وبعضها فى باب الهزل والفكاهة . ولكل جنس من هذا موضع يصلح له . ولا بد لمن استكدّه الجد من الاستراحة إلى بعض الهزل » .

ومن كانت هذه غايته ، كان خليقاً أن يجمع بين دفتى كتابه ما يحقق له هذه الغاية ، يستوى عنده فى ذلك الخبر الصحيح والزائف ، والشعر الثابت والمشكوك فيه والموضوع ، وربما أورد من الأخبار والأشعار ما يعرف يقيناً زيفها ووضعها ، ولكنه يسوقها لأنه يستحسنها أو لأن فيها نادرة تناسب ما قبلها ، فمن ذلك أن الجاحظ يورد خبراً فيه شعر ثم يقول[٤]: « وأخلق بهذا الحديث أن يكون مولّداً ، ولقد أحسن من ولّده » .

ومن أجل هذا كله نرى الجاحظ لا يكلف نفسه مشقة التثبت والتمحيص ، والرجوع إلى ما بين يديه من كتب ومصادر ، وإنما يرتجل القول ارتجالاً ، ويسوقه فى كثير من التجاوز والتسامح ، ويدفعه إلينا كما ورد فى خاطره ساعة كتابته أو إملائه ، فهو يورد بيتاً من الشعر ثم يقول[٥]: « وهى أبيات لم أحفظ منها إلا هذا البيت » . ويقول أيضاً فى باب الخطب[٦]: « وخطبة أخرى ذهب عنى

(١) البيان والتبيين ٣ : ٣٠٢ .
(٢) المصدر السابق ٣ : ٣٦٦ — ٣٦٧ .
(٣) المصدر السابق ٢ : ٢٢٢ .
(٤) المصدر السابق ٤ : ٣٦ .
(٥) الحيوان ٢ : ١٣ .
(٦) البيان والتبيين ٢ : ١٢١ .

إسنادها » . ويقول[١] : « وإذا صرنا إلى ذكر الخطباء والنسابين ذكرنا من كلام كل واحد منهم بقدر ما يحضرنا » . ويقول بلسان صاحب الكلب وهو يردُّ على صاحب الديك[٢] : « لعلنا إن تتبعنا ذلك وجدناه كثيراً ، ولكنك تقدمت فى أمر ولم تشعر بالذى تعنى فنلتقط من الجميع أكثر مما التقطت . . . وما حضرنا من الأشعار إلا قوله . . . »

ولم يكن ارتجال الجاحظ للكلام ، ولا إلقاؤه إياه كما حضره فى ذاكرته ، عن قلة الكتب التى بين يديه ، وإنما كان ذلك لأن طريقة التأليف فى مثل كتب الأدب العامة لا تستدعى التثبت والتحقيق والرجوع إلى المصادر — كما بيَّنا فى مواطن كثيرة فى هذا الفصل . وإلا فقد عُرف الجاحظ بكثرة ما لديه من كتب وبكثرة ما قرأه واطلع عليه منها ، حتى لقد قال أبو هفان[٣] : « ثلاثة لم أرقط ولا سمعت أحبَّ إليهم من الكتب والعلوم : الجاحظ ، والفتح بن خاقان ، وإسماعيل بن إسحاق القاضى . فأما الجاحظ فإنه لم يقع بيده كتاب قطّ إلا استوفى قراءته كائناً ما كان حتى إنه كان يكترى دكاكين الورَّاقين ويثبت فيها للنظر . . . » بل إن فى كتابيه هذين ذكراً لبعض الكتب التى استمد منها بعض ما فيهما من أخبار وخطب وأشعار[٤] .

ومع كل ذلك فقد نثر الجاحظ فى كتابيه إشارات متفرقة عبَّر بها عن شكه فيما أورد من شعر ، وهو شك قد يوهم بالتحقيق والتمحيص ، ولكن السياق الذى ورد فيه هذا الشك سياق له دلالة خاصة ، فالجاحظ مثلاً يورد بيتاً من الشعر ثم يقول[٥] : « فخبرنى أبو إسحق أن هذا البيت فى أبيات أخر كان أسامة صاحب روح بن أبى همام هو الذى كان ولَّدها . فإن اتهمت خبر أبى إسحق فسمِّ الشاعر ،

---

(١) البيان والتبيين ١ : ٩٧ .
(٢) الحيوان ١ : ٢٧٦ — ٢٧٧ .
(٣) ابن النديم ، الفهرست : ١٦٩ .
(٤) انظر مثلا : البيان والتبيين ١ : ٩٢ ، ١٣٥/١٣٦ ، ٣٣٥ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ ؛ ٣ : ٥٧ — ٥٨ .
(٥) الحيوان ٦ : ٢٧٨ .

وهات القصيدة ، فإنه لا يقبل فى مثل هذا إلا بيت صحيح ، صحيح الجوهر ، من قصيدة صحيحة لشاعر معروف » . ويورد بيتاً لأوس بن حجر ثم يقول : « وهذا الشعر ليس يرويه لأوس إلا من لا يفصل بين شعر أوس بن حجر وشريح ابن أوس » . ويورد بيتاً لبشر بن أبى خازم ويقول[١] : « وقد طعنت الرواة فى هذا الشعر الذى أضفتموه إلى بشر بن أبى خازم . . . وقالوا : فى شعر بشر مصنوع كثير مما قد احتملته كثير من الرواة على أنه من صحيح شعره . » ويورد شعراً للأفوه الأودى ثم يقول[٢] : « وما وجدنا أحداً يشك فى أن القصيدة مصنوعة » .

وهذه الإشارات الكثيرة إلى وضع الشعر وردت كلها فى موطن واحد ، وهو حديثه عن علامات النبوة وانقضاض الكواكب ، فى معرض ردّ الجاحظ على من يزعم أن انقضاض الكواكب أمر معروف فى الجاهلية وقد ذكره الشعراء الجاهليون فى شعرهم ، ومن هنا ذهب بعضهم إلى أنه : ليس فى انقضاض الكواكب دلالة على النبوة . فكان من بين ما رد به الجاحظ على هؤلاء أن شك فى هذا الشعر ودفعه وذهب إلى أنه مصنوع . فالجاحظ إذن لم يشك فى هذا الشعر لأن تحقيق الشعر وتمحيصه غايتُه ومقصده ، وإنما اتخذ ذلك سبيلاً ، من سبل كثيرة اصطنعها ، للرد على مناظريه أو المخالفين له فى الرأى . ومن أجل هذا نراه لا ينقد الشعر الذى يورده ابتداءً ، إلا فى مواطن قليلة جداً حيث يورد عبارة واحدة متكررة هى قوله « إنْ كان قالها » . فهو يقول[٣] : « وقال أمية — إن كان قالها » ثم يورد شعراً ، ويقول[٤] : « وقال تأبط شراً — إن كان قالها » . ثم يورد أبياتاً ؛ ويقول[٥] : « وقال العبدى — إنْ كان قاله . » وربما كانت هذه العبارة تفيد شكه فى نسبة الشعر الذى يورده للشاعر الذى ذكره ، ولكنها أيضاً

---

(١) الحيوان ٦ : ٢٧٩ .

(٢) المصدر السابق ٦ : ٢٨٠ .

(٣) المصدر السابق ٣ : ٤٩ .

(٤) المصدر السابق ٣ : ٦٨ .

(٥) المصدر السابق ٤ : ٢٤٨ .

قد تفيد ، فيما نرى ، شكه فى ذاكرته وحفظه ، فقد ذكرنا قبل قليل أن الجاحظ لا يكاد يرجع إلى ما بين يديه من كتب ومصادر ، وإنما يكتب أو يُملى ما يرد فى خاطره وما يحضر فى ذاكرته ، فلعله أيضاً فى هذه المواطن يقصد بهذه العبارة المتكررة أنه إنما يكتب من ذاكرته ، ولذلك فهو يشك فى حفظه لنسبة الشعر الذى يورده ، فإن كان ذلك كذلك ، يكن هذا دليلاً جديداً على ما نذهب إليه من أن الجاحظ إنما يورد الشعر وسيلة لا غاية ، وأنه لا يتكلف مشقة تحقيقه وتمحيصه والتثبت من نسبته وصحته .

ومن الأدلة على هذا الذى نذهب إليه ما ورد فى الكتابين : الحيوان ، والبيان والتبيين ، من أخطاء فى نسبة الشعر . وهى أخطاء لا يصح أن تقع إلا من السرعة أو الاعتماد على الحافظة لأنها فى أغلبها نتيجة لتشابه فى الأسماء ، فمن ذلك أن الجاحظ ينسب فى الحيوان شعراً لخُفاف بن نُدْبة [١] ، وينسبه فى البيان والتبيين للبُرْجمى [٢] ، والصواب أن هذا الشعر لخفاف بن عبد قيس البرجمى [٣] . ومن ذلك أيضاً أنه ينسب بيتين فى البيان والتبيين لحميد بن ثور الهلالى ، والصواب أنهما لحميد الأرقط [٤] . ونسب فى الحيوان لخفاف بن ندبة البيت التالى [٥] :

أَبَا خُرَاشَةَ إِمَّا كنتَ ذَا نفَرٍ فإنَّ قَوْمِيَ لم تأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

وأبو خُراشة هى كنية خُفاف بن نُدْبة ، فليس هو إذن صاحب هذا البيت وإنما هو المخاطَب به ، وقائله العباس بن مرداس السلمى .

ودليل آخر على ما نذهب إليه هو هذا الاختلاف فى نسبة الشعر بين الحيوان والبيان والتبيين فمن أمثلة ذلك أن شعراً نسب فى الحيوان إلى أبى ذؤيب الهذلى [٦] ، ولكنه نسب فى البيان والتبيين إلى المتنخل الهذلى [٧] . ونسب

---

(١) الحيوان ١ : ١٣٣ .
(٢) البيان والتبيين ٢ : ١١ .
(٣) المصدر السابق ، هامش : ٦ .
(٤) المصدر السابق ١ : ٦ .
(٥) الحيوان ٥ : ٢٤ ، وهامش : ٣ .
(٦) الحيوان ٥ : ٢٨٥ .
(٧) البيان والتبيين ١ : ١٧ .

الجاحظ بيتين فى البيان والتبيين للفزارى[١] ، وكان نسبهما فى الحيوان لحريز ابن نشبة العدوى[٢] . ونسب أبياتاً فى البيان لسالم بن وابصة [٣] ، بينما نسبها فى الحيوان للعرجى [٤] . إلى آخر ما فى الكتابين من خلاف فى نسبة الشعر .

وآخر هذه الأدلة ما ذكرناه آنفاً عند حديثنا عن كتب النحو واللغة والسيرة والتاريخ، وهو : إغفال اسم الشاعر ، والاقتصار على قوله « قال الشاعر »[٥]، أو « قال آخر » [٦] ،أو « قال أعرابى » [٧]، أو ما شابه ذلك من العبارات التى تدل على أن المؤلف غير حريص على تحقيق نسبة الشعر ولا يعنيه من أمره إلا أنه وجد بيتاً أو أبياتاً تناسب ما أورد من حديث . وكثيراً ما يغفل اسم الشاعر ويكتفى بذكر القبيلة وحدها مثل قوله « قال بعض القرشيين » [٨] ، أو « قال الأسدى » [٩] ، أو « قالت امرأة من بنى أسد »[١٠] ، أو « قال الفزارى »[١١]، أو « قال بعض القيسيين » [١٢] ، أو « قال العبدى »[١٣] ، وكثيراً ما يقول فى مواطن متفرقة « قال الهذلى » ثم يورد أبياتاً من الشعر لشعراء مختلفين من هذه

---

(١) البيان والتبيين ٢ : ١٦٠ .
(٢) الحيوان ٤ : ١٥١ .
(٣) البيان والتبيين ١ : ٢٣٣ .
(٤) الحيوان ٣ : ١٢٧ .
(٥) الأمثلة على ذلك كثيرة انظر مثلا البيان والتبيين ١ : ٩٤ ، ١٠٩ ، ٢/٢٧٤ : ٣٢٩ والحيوان ٣ : ٣١٠ ، ٣١٧ ، ٤٤٤ .
(٦) انظر مثلا البيان والتبيين ١ : ٧٨ ، ١٩٠ ، ٢١٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ / ٢ : ٢٨٤ . والحيوان ٣ : ٣١٧ ، ٣٨٨ ، ٤١٧ ، ٤٢٣ .
(٧) انظر مثلا البيان والتبيين ١ : ٢١٢ ، ٢١٣ .
(٨) البيان والتبيين ١ : ١٨ .
(٩) البيان والتبيين ١ : ١٥٩ / ٢ : ١٦٠ ، ٢٨٠ .
(١٠) المصدر السابق ١ : ١٨٠ .
(١١) المصدر السابق ٢ : ١٦٠ .
(١٢) الحيوان ١ : ١٣٤ .
(١٣) الحيوان ٤ : ٢٤٨ .

القبيلة ، فحيناً يكون البيت لأبى العيال الهذلى[١] ، وحيناً ثانياً لحبيب بن عبد الله الهذلى [٢] ، وحيناً ثالثاً لأبى ذؤيب الهذلى[٣] ، وحينا رابعاً لأبى خراش الهذلى [٤] ، وهكذا . .

• • •

وخلاصة كل ما تقدم فى هذا الفصل أن الشعر فى هذه الضروب المختلفة من الكتب ليس غايةً تُقصَد ، وإنما هو وسيلة تُلتمَس لغيرها من الغايات ، فهو يساق حيناً للاستدلال والاحتجاج كما فى كتب النحو واللغة ، وهو يساق حيناً آخر للاستشهاد والتمثل وتقوية الخبر وتزيينه كما فى كتب السيرة والتاريخ والأدب العام . وبذلك لا يُعنى مؤلفو هذه الكتب بتحقيق نسبة الشعر إلى شاعر بذاته ، وإنما حسبهم أن يكون هذا الشعر قديماً قيل فى عصر يصح الاستشهاد والاحتجاج به ، أو قالته قبيلة من القبائل بحيث يكون شاهداً على لهجتها — كما هو الشأن فى كتب النحو واللغة ؛ أما كتب السيرة والتاريخ والأدب العام فبحسب مؤلفيها أن يجدوا لديهم شعراً قيل فى الحادثة التى يروونها ، أو أبياتاً تناسب الحديث الذى يسوقونه ، وليس يعنيهم بعد ذلك تحقيق نسبة الشعر إلى شاعر بعينه ، بل لا يعنيهم التثبت من صحة الشعر نفسه ، وربما أوردوا شعراً يدركون هم أنفسهم أنه زائف موضوع ، ولكن ذلك لا يمنعهم من إيراده لما فيه من نادرة أو حديث مستطرف . ومن أجل هذا كله لا نحسبنا مغالين إذا قلنا إن هذه الكتب كلها ، بأنواعها المختلفة ، ليست بطبيعتها مصدراً أصيلاً من مصادر الشعر التى يُعتمَد عليها ؛ وإنما المصدر الأصيل الذى يصح للباحث المحقق أن يطمئن إليه ويعتمد عليه ،

---

(١) البيان والتبيين ١ : ٣ .

(٢) المصدر السابق ١ : ٢٧٥ .

(٣) المصدر السابق ١ : ٢٧٧ .

(٤) المصدر السابق ١ : ٢٢٩ .

هو هذه الدواوين الشعرية التى اقتصرت على الشعر نفسه واتخذته غايةً لذاته ، وأفرغ جامعوها وصانعوها وشرّاحها جهدهم فى التثبت من صحة كل قصيدة بل كل بيت ، والتحقق من نسبة كل ذلك إلى شاعره ، ودفع ما لا تثبت لهم صحته أو نسبته ، والنص على ما يشكّون فيه منه . هذا الجهد الخصب المثمر الذى بذله العلماء الرواة منذ مطلع القرن الثانى الهجرى ، وبلغ غاية نشاطه فى النصف الأخير من القرن الثانى ومطلع القرن الثالث — هذا الجهد الخصيب المثمر من التنقيب والتدقيق والتحقيق والتمحيص للتثبت من صحة الشعر وأصالته ونسبته — هو الذى أخرج لنا هذه الدواوين التى تناقلها التلاميذ من الرواة العلماء عن شيوخهم بالرواية جيلاً بعد جيل حتى وصلت إلينا مروية عن هؤلاء العلماء ، مسندةً إلى عالم راوية من علماء الطبقة الأولى فى النصف الأخير من القرن الثانى . هذه الدواوين وحدها هى المصدر الأولى الوحيد الذى يُعتمد عليه فى إثبات صحة الشعر وفى التحقق من نسبته إلى شاعر بذاته . وقد وفينا كل ذلك حقه من البحث فى الفصول الثلاثة السابقة من هذا الباب .